

# المقدس

## تاريخ الحضارة

### مترجم عن الإفرنسية

نتائج الحروب الصليبية - كانت نتيجة الحروب الصليبية قصيرة العمر فلم تستطع مملكة القدس أن تقاوم المسلمين بل انحلت سنة ١٢٩١ ودك البيزنطيون أساس الإمبراطورية اللاتينية التي أسست سنة ١٢٠٤ ولكن القبر المقدس أخذ يجذب إليه كل سنة ألوفاً من الحجاج فخصصت لهم سفن تقلع من البندقية وجنوة ومرسيلا وهكذا ابتدأت الصلات المنظمة بين إيطاليا والشرق.

ولم تكن توجد أدوات الرينة وحاصلات البلاد الحارة وأبارير الهند (كالفلفل وجوز الطيب والرنجيل والقرفة) والعاج وحرير الصين والأقمشة والبسط والسكر والقطن والأوراق إلا في أسواق الآستانة وبغداد والإسكندرية وكانت هذه السلع التي يرغب فيها الغربيون من وراء الغاية ويبدلون في سبيلها كل مرتخص وغالٍ تريح أرباحاً فاحشة فقد بدأ أهل البندقية رعايا الإمبراطورية البيزنطية يتجرون مع بيزنطة: وأخذ الناس في أوروبا في القرن الثاني عشر يؤثرون أن يذهبوا لاستبضاع متاجر الشرق من مصادرها فتبعث المدن التجارية الكبرى في ذلك العهد كالبنديقية وجنوة وبيزا سفنها إلى موانئ فلسطين حيث كانت تصل قوافل دمشق وبغداد وكان للبنادقة في القرن

الثالث عشر حي خاص في القسطنطينية بعد أخذها ومكاتب تجارية حتى البحر الأسود حيث يتجرون وطربزون وسمح أمراء المسلمين في مصر وطرابلس الغرب بالتجارة مع رعاياهم وعقدت البندقية وجنوة معاهدات تشبه هذه فأخذت مراكب البندقية وجنوة ترد بصورة منظمة إلى الإسكندرية تقل الأباريز والأقمشة وعلى هذا فالصلات بين الغرب والشرق قد بدأت بحرب بين المؤمنين وانتهت بمسائل بين المتجرين وآثر التجار الألمان وكانوا إلى القرن الحادي عشر يجلبون بضائع الآستانة بركوب المراكب في نهر الدانوب أن يجتازوا جبال الألب ويتاعوها من تجار إيطاليا فغير طريق التجارة الأعظم وترك طريق الدانوب وأصبح طريقها من الإسكندرية ماراً بالبندقية فنية برنير فأكسورغ فنورمبرغ.

الصلات بين الشرق والغرب - تحضر الغربيون باحتكاكهم مع الشرقيون وأنه ليعتذر القول في تحديد الطريق التي دخل منها إلى أوروبا اختراع من اختراعات الشرق فهل انتهت إلينا من طريق أهل الصليب في فلسطين أو من طريق التجار الإيطاليين أو الحرب في صقلية أو من المغاربة في أسبانيا ولكن يمكن تقدير الحساب بما نحن مدينون به للعرب وهذا الحساب يطول شرحه.

فقد أتانا من العرب (أولاً) الحنطة السوداء والمليون والقنب والكتان والتوت والزعفران والأرز والتخيل والليمون والبرتقال والبن والقطن وقصب السكر التي أصبحت من أهم زراعات أميركا (ثانياً) معظم صناعاتنا في الترين مثل الأقمشة الدمشقية القطنية والسختيان وأقمشة الحرير المزركشة بالذهب أو الفضة والشاش الموصلي والشفوف (البرنجك) والصندل والحرير والمخمل الذي زيد إتقانه في إيطاليا بعد حين والزجاج والمرايا التي قلدوا في البندقية والورق والسكر وعمل الحلويات والمشروبات (ثالثاً) مبادئ كثير من علومنا كالجبر وحساب الثلثات والكيمياء

والأرقام العربية التي اقتبسها العرب من الهنود فسهل بها الحساب مهما كان صعباً. دح عنك السحر وعمل التعاويذ التي اعتقد فيها الإيطاليون إلى يوم الناس هذا وحجر الفلاسفة الذي كان بعض أمراء الألمان يبذلون من أموالهم للبحث عنه حتى القرن السابع عشر وذلك بواسطة صناع الذهب أو الكيماويين.

ولقد جمعت العرب وقربت جميع الاختراعات والمعارف المأثورة عن العالم القديم في الشرق (كينان وفارس والمندبل والصين) وهم الذين نقلوها إلينا ودخلت كثير من الألفاظ العربية في لغاتنا وهي تشهد بما نقلناه عنهم. وبواسطة العرب دل العالم الغربي الذي أصبح بربرياً في غمار المدنية فإذا كان لأفكارنا وصناعتنا ارتباط بالقديم فإن جماع الاختراعات التي تجعل الحياة سهلة لطيفة قد جاتنا من العرب.

تأثير الحروب الصليبية في المعتقدات - أثر الاحتكاك بالشرق في الأفكار الدينية بين الميحين أيضاً فقد تحمسوا أولاً للزوال والطعان ولما شاهدوا المسلمين عن أمم رأوا بينهم رجالاً أشداء منورين كرماء أمثال صلاح الدين الذي أحلى سيل أسرى الميحين بدون فدية وبعث بطييه إلى أحد زعماء الصليبين وقد مرض ليداويه فبدأ المسيحيون يحترمون المسلمين واذ أراد الصليبيون أن يشترى فضائل الديانة الميحية للمسلمين واليهود تناقشوا بينهم فاضطررهم المناقشة أن يقابلوا بين الأديان الثلاثة ومن هذه المقابلة استنتج بعضهم أن الأديان الثلاثة باطلة إذ أن كل واحد منها يدعي أنها حقيقية وما عداها باطل فقالوا أنه لو جاء ثلاثة دجالين عظام (كذا) موسى ويموخ المسيح ومحمد (صلوات الله عليهم) فخدعوا اليهود والنصارى والمسلمين وهذه الجملة نسبت خطأ إلى الإمبراطور فريديريك الثاني وسرت في إيطاليا في القرن الثالث عشر. واستنتج آخرون العكس فقالوا أن الأديان الثلاثة حسنة كلها وقصوا هذا المثل: كان لرجل خاتم له ارتباط بإرثه وكان يحب أولاده الثلاثة بدرجة واحدة

فضع خاتمين اثنين يشبهان خاتمه ودفع إلى كل واحد منهم خاتماً ثم مات الأب فأنشأ كل من الأولاد الثلاثة يطالب بالإرث الذي له علاقة بالخاتم ففضى القاضي أن يرث الإرث ثلاثتهم فالنصارى والمسلمين واليهود كلهم ثلاثة أبناء لأب واحد سماوي أراد أن يكون لكل منهم حظ من إرثه. وقد جعل المسيحيون في آخر هذه القصة اختلافاً فقالوا أنهم أتوا بمريض وأمسكوه الخواتم الثلاثة فثقى عندما يمس الخاتم الحقيقي والمعجزة محك الدين الحق. والمعجزات قالت أن النصرانية أفضل.

### فرنسا في القرن الثالث

#### الملكية الفرنسية في القرون الوسطى

ارتقاء الملكية على عهد الكابتيين - لم يكن ملك فرنسا سيداً إلا في محله جاء القرن الثاني عشر وأملاكه لا يعدد بما فكانت سياسة البيت الملكي في فرنسا سياسة أسرة من الفلاحين تبحت في توسيع أملاكها فيقتنى أفراده بالبيع والزواج والفتوح أملاكاً يضمونها إلى أملاكهم رويداً رويداً فيسقطون يديهم مرة على ولاية وأخرى على كونتية صغيرة (سانس وملون) وأحياناً على محلة صغيرة (مثل مونتلرة وبوجنسي) وقد زادت أملاك البيت المالك على عهد فيليب أغسطس ثلاثة أضعاف ما كانت عليه بأخذ أملاك دوج نورمانديا. فكثرت عديد الفرنسان في جيش الملك كما كثر المال في خزائنه والرعايا في أملاكه أكثر من كل أمير في فرنسا وأصبح أقدر سيد في مملكته وأتاب عنه في أملاكه المنتشرة في أقطار فرنسا حكاماً أخذوا يضيقون خناق وكلاء كبار السادات ليجعلوا اسم سيدهم محترماً في كل صقع وناد.

باريز على عهد فيليب أغسطس - كانت باريز في القرن التاسع عشر على عهد حصار النورمانديين لا تتجاوز رقعة الجزيرة وفي أواخر القرن الثاني عشر امتدت على ضفتي السين ولكن يجعل فيليب أغسطس الحياء الجديدة بتأمين من هجمات العدو

أنشأ حول المدينة التي وسعها على هذه الصورة سوراً غليظاً ذا أبراج لا تزال ترى إلى اليوم بعض بقاياها وظلت المدينة أبداً في الوسط وهناك كانت الكنيسة الكاتدرائية (التي أصبحت بعد كنيسة نوتردام) ومقر الأسقف وقصر الملك (حيث جمع سان لوي فيما بعد مجلس نوابه وأصبحت دار العدل أو ديوان المظالم) وعلى الشاطئ الأيسر من ناحية جبل سانت جنيفيف طلبة المدارس ورجال الكهنة الذين يخلفون إلى المدارس ومن هذه الجهة انتهى السور أمام طرف جزيرة تورنل ماراً بجبل سانت جنيفيف وامتد إلى مقر السين قبالة متحف اللوفر. وعلى الجانب الأيمن يبدأ السور قبالة المدينة وينتهي باللوفر. وكان السكان في هذه البقعة الضيقة يزدحمون حتى لا يضيعوا فراغاً عظيماً فكانت الأزقة ضيقة معوجة ومظلمة لا بلاط فيها ولا نور. وليس فيها بوليس تفرغ كل مساء علامة الانصراف إلى البيوت فيعود الأهالي الوديعون إلى منازلهم ويعلقون أبوابهم وكانت الأزقة عرضة للصوص والمشردين من كل جنس ومن خطر الجلل أن يلقي المرء نفسه في التهلكة باحتيازها.

وما كان لمدينة بايز إدارة عامة بل كانت مبنية على أرض شطر منها فقط ملك الملك وكانت عدة أحياء ولاسيما ما بني منها خارج السور من الأرباض مبنية في أملاك الأديار التي كانت بادئ ذي بدء بنيت في القرى مثل سان جرمان دي برى (بالقرب من برى أو كلرك الذي كان يمتد إلى شاطئ السين) سان مرتان دي شان وسان جنيفيف وليس الملك هو السيد في هذه الأحياء بل رئيس الدير وله الحق لا أن يتقاضى كراء البيوت التي بنيت في أملاكه بل أن ينظر في محكمته في قضايا السكان والجرائم المرتكبة في حيه أجمع.

وبعد فما كانت باريز جسماً واحداً حتى أن شطرها الذي هو ملك خاص للملك يكن منظماً تنظيم المديرية كما كانت كثير من المدن الصغرى (مثل أمين وسواسون

وبوفى وغيرها) وليس لباريز سجل مديرية ولا شيخ بلد ولا مراقب بل كان العملة الذين يعملون عمالاً واحداً والتجار الذين يتجرون بنصف واحد في باريز وفي غيرها من المدن يجتمعون اجتماعات لكل منها نظامه وصندوقه وزعماءه. وكانت أقوى النقابات في باريز نقابة تجار الماء أي النواخذة محزي المراكب الذين كانوا يتجرون على السفن في نهر السين ولهم زعيمهم وسموه أمين التجار (شاهندر) ومجلس إدارة مشايخ البلد وما لبث أمين التجار ومشايخ البلدان عدوا بمرور الأيام ممثلي الطبقة الممدنة في باريز وسمي البيت الذي كانوا يجتمعون فيه منزل المدينة أو المجلس البلدي وسمي اجتماعهم جماعة المدينة ولا يزال لمدينة باريز إلى اليوم شعار من قارب بقلوع رمزاً إلى جماعة تجار الماء وأول من سعى في تحسين عاصمته فيليب أغسطس رأس ملوك فرنسا فلم يسورها بسور فقط بل رصف بعض أزقة المدينة وطم البوابع القذرة التي كانت حول قصره وما بدأت إقامة المصانع الجميلة إلا في القرن الثالث عشر ولم يبق في باريزنا الحديثة من باريز فيليب أغسطس سوى قبة جرس سان جرمان دي برى وكنيسة سان جوليان لوبوفر الصغرى.

سان لوى - كان بسان لوى ملكاً تام الأدوات على نحو ما يطلب في القرون الوسطى مسيحياً خاضعاً وفارساً شجاعاً وقاضياً شديداً حاز جميع الفضائل التي تبلغها مدارك أهل عصره من مثل التقوى والشجاعة والعدل يحضر قداسين في اليوم ويصلي الغداة ويلبس المسح ويغسل أرجل الفقراء ويعترف ويتناول تكفيراً عن سيئاته ويأمر بطرد اليهود وإحراق الزنادقة وثقب ألسن المخدفين بمحديقة محمأة فتراه في الحرب يتقدم صفوف رجاله وما قط شوهد فارس مثله كما قال جوفانيل فهو حكيم القرن يتأدب مع الله ويشعر بما يجب عليه بأن يحكم بين الناس بالعدل وكثيراً ما يذهب إلى غابة فنسين ليجلس تحت سنديانة أو في حديقة المدينة وكل من لهم شأن يأتونه

فيكلمونه بدون أن يزعجهم مزعج من الحجاب فيحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون وأقصى أمانيه أن يحكم في الجميع حكماً عادلاً لا هوى للنفس فيه. صلب أحد كبار سادات المملكة أنكر أن دي كوسى ثلاثة من الطلبة لأنهم اصطادوا في قصره فقضى الملك عليه وجاء به إلى قصره فطلب بقية السادات بحسب العادة أن يدفع هذا السيد عن نفسه البراز فأبى سان لوى ذلك قاتلاً أن مسائل الفقراء والكنائس والأشخاص الذين تبغى لهم الشفقة لا يجب المرء أن يسترسل فيها على هذه الصورة فيجعل الحكم للغالب. فاغتاظ السادات وخرجوا من قصره فترك الملك هذا الموضوع ووضع المسألة على بساط الحكم فهتف أحد الأشراف مستهزئاً لو كنت ملكاً لصلبت باروتياي فسمعه الملك وقال له: ما تقول يا جان هل تقول أن الواجب أن أصلب باروتياي لا ليس الأمر كذلك بل إني معاقبهم إذا أساؤا. ولقد كان الشعور بالعدل عظيماً في سان لوى بحيث رفعه على مستوى أعلى السادة وحظر البراز في كل بلاده وأصبحت جميع المسائل التي يتحاكم فيها إلى البراز يحكم فيها بحجج وشهود لأن القتال كما قال ليس طريقاً إلى الحق وهذا فقد قلنا سان لوى المملكة الفرنسية وعود القوم أن يروا ملك فرنسا مصدر العدل كله.

معاهدة سان لوى - نفع سان لوى بالقدوة والاحترام الذي حازه أكثر مما نفع بالقوانين والأنظمة ولقد ظن زمناً طويلاً أنه سن جملة من القوانين كانوا يسمونها نظامات سان لوى ثم أدركوا أن هذه النظامات الموهومة لم تكن سوى تأليف مجموعتين من الحقوق أخذتا من العادات وكتبتا في أواخر القرن الثالث عشر على يد أناس من أرباب التجارب غير معروفين ولا علاقة لهم بالملك. وظن أيضاً أن سان لوى ألف براءة أو لوائح حقوق الكيسة في فرنسا ثم ثبت أن هذه اللوائح المزعومة قد وضعت في القرن الخامس عشر وربما كانت بعد لوائح شارل السابع والأوامر

الصادقة حقيقة عن سان لوى هي أوامر البراز ولوائح لتنظيم حسابات المستخدمين في أملاكه.

### الحياة العقلية والصناعية

كلية باريز - كان لباريز كما كان لعامة الأبرشيات مدرسة ملحقة بالكاتدرائية وكان لكثير من الديار مدارس خاصة بما (مثل سان جرمان دي برى وسان جرمان لو كسروا وسانت جنيفيف) وقد كثر عدد الطلبة حتى ضاقت بهم الجزيرة فأخذوا يزلون الضفة اليسرى من السين وهناك بين سنتي ١١٠٣ و ١١٢٥ كان احد العامة من الثبان الذين جمعوا إلى الجمال طلاقة وبيانا واسمه أبلارد وهو أكثر أهل عصره استنارة (ويعرف قليلاً من اليونانية والعبرانية) يلقي دروسه في الفلسفة على ثلاثة آلاف مستمع وما كانت تسع هذا الجمهور قاعة ولا ردهة فجعل أبلارد يلقيها بين الكروم في جبل سان جنيفيف.

وكان من العادة الجارية أن يعقد أهل الحرفة الواحدة اجتماعات فكما يجتمع الحياطون والحذائون وصانعو الأجواج وأهل كل حرفة على حدقها هكذا ألف الرجال الذين يعنون بالمدارس اجتماعاً خاصاً وقد وقع استحسان البابا على هذا الاجتماع في القرن الثالث عشر فمضى مدرسة باريز كلية (أي مجموع) المعلمين والطلبة في باريز وكان لها رئيس منتخب وخدمتها ومحكتها التي لها الحق وحدها في أن تقضي بين الأساتذة والتلامذة وكثيراً ما تختلف كلية باريز مع أمير التجار فيعطيه الملك الحق دونه. وقد صلب أمين تجار باريز سنة ١٤٠٣ طالبين قبض عليها في منازعة كالتى كانت تحدث كل يوم في تلك الطرق الضيقة الغاصة بالمشردين فأغلقت الكلية صفوفها فكانت هذه الوسيلة ذريعة ليل تعويض فاضطر أمين

أن يذهب لإتزال المصلوبين باحتفال وأن يدفنهما ويقدم اعتذاره للكلية لأنه حرق امتيازاتها.

وانقسمت الكلية إلى حلقات انقسامها إلى ضروب من العلم فبعد أن أدخل إليها تعليم الحقوق والطب (ولم يكن هذان العلمان يدرسان في باريز قبل القرن الثالث عشر) صار لها أربع مدارس اللاهوت والحقوق والطب والفنون. وكانت مدرسة الفنون تحتوي على جميع علوم الترفيوم (النحو والبيان والمنطق) والكوادرفيوم (الحساب والموسيقى والهندسة والفلك والفلسفة) ويقض الأساتذة رواتب كما يتناولون أجوراً من المستمعين ودرسهم مكتوب على دفتر فيأتون فيتلونه على المسامع ويسكن الطلبة وهم من أعمار مختلفة في المدينة ولكن منذ قام بعض اغنسين في القرن الثالث عشر وأنشأوا أدواراً لقبول الطلبة الفقراء أخذ الكثيرون يعيشون داخلين في هذه المدارس على طريقة جبروا فيها على نظام الأديار وكان لكل مدرسة ثلاث درجات في العلم ينتقل الطالب من إحدهما بعد أن يثبت علمه بفحص وقضية يثبتها أو جدل يناضل فيه ثم يصبح بكالوراً أو معلماً أو دكتور وكان القوم يرغبون في نيل هذه الدرجات الثلاث لأن صاحبها يجد له عملاً في الكنائس والمحاكم أو المدارس على أيسر وجه.

وكانت كلية باريز في القرن الثالث عشر أعظم مدرسة في أوروبا تؤوي زهاء عشرين ألفاً من الطلبة على اختلاف بلادهم. وهي التي رسمت لوربا صورة العلم العالي وخذت كلية أكسفورد وكمبردج الإنكليزيتان حذوها ولما أراد أمراء الألمان تأسيس مدارس في بلادهم أنشأوا كلهم كليات جبروا فيها على مثال كليات باريز ومنها انتهت علينا طريقة الرتب وتقسيم المدارس الذي لا يزال على حاله القديم في ألمانيا.

الحقوق الرومانية - ما فتى الإيطاليون يضعون الحقوق الرومانية موضع العمل وقد أخذوا في القرن الحادي عشر يدرسونها في إيطاليا درساً أصولياً في كتب يوستينيانوس فكان الأساتذة والطلبة يجتمعون في بولون وبلغ عددهم عشرة آلاف طالب واشتغلوا قرنين في تفسير كتب القوانين الرومانية والتعليق عليها سطرًا سطرًا وتآلف من شروحاتهم ذيل علق عليه علماء القانون في القرن الثالث عشر شروحات جديدة وكانت الولايات الجنوبية في فرنسا فقط (حتى ولاية أوفرن) تعمل بالقانون الروماني أما ولايات الشمال فتجري على العادة ويحكم مجلس النواب في باريز بموجب العادة. بيد أنه كان للقوانين الروماني الترجيح على العادة وذلك لأنها هي التي دونت وهي وحدهما تدرس في المدارس فكانت تسمى العدل أو الحق خلاف العادة بلا زيادة ولا نقص ويقضي القضاة والمحامون الذين يحملون شهادات الحقوق بضع سنين في دراستها بعضهم في بولون والآخر في أورليان أو مونبليه. وكان القانون الروماني في عدة مواد يحكم بخلاف العادة فتسبغ العلماء بهذا الحق وادخلوه بالتدريج حتى على غير معرفة منهم في العادة وبدأ إدماج القانون الروماني في القرن الثالث عشر إلى آخر القرن السادس عشر فتعدلت به العادات القديمة كل التعديل ولاسيما قد أضعف سلطة السادة والمديريات التي سكت عنها القانون الروماني وقوى سلطة الملك وحاكمه لأن المشرعين قد طبقوا على الملك كل ما كان يعطيه القانون للإمبراطور الروماني من الحقوق كما طبقوا على عماله كل ما يطبقه القانون الروماني لولاة الرومان وحاكمهم وفي القانون الروماني (إن ما يقضي به الأمير يكون قانوناً نافذاً) فأصبحت هذه الحكومة قاعدة الحكومة في فرنسا ثم في ألمانيا وكانت أساس السلطة المطلقة.

رحلة إلى المدينة المنورة

## البلقاء

على نحو مانتين وأربعين كيلومتراً من جنوبي دمشق بين هر الأردن غرباً وزملة العليا في طريق الحج شرقاً وهر الزرقا شمالاً ووادي الموجب جنوباً إقليم واسع خصيب سهلي جبلي اسمه البلقاء كوله من الشمال إلى الجنوب ١٨ ساعة للفارس نجد وعرضه من الغرب إلى الشرق ١٦ ساعة أو نحو مئة كيلومتر في مئة كيلومتر وهذا الإقليم الذي يبلغ بمساحته ربع جمهورية سويسرا هو اليوم جملة قضاء عمل السلط ما عدا مسيرة ساعتين من الجنوب داخله في عمل الكرك وقد حد القدماء إقليم البلقاء بأنه بين الشام ووادي القرى وقالوا أن فيه مدناً عظيمة كثيرة وأن قاعدته عمان وقيل أن السلط هي راموت جلعاد إحدى مدن اللجاء ومد اللاويين المذكورة في الكتاب المقدس وربما اشتق لسمها الحاضر الصلت أو السلط من لفظة لاتينية سالتوس ومعناها الجبال المشجرة وكانت فيما مضى مدينة أسقفية في العهد المسيحي وقد ذك المغول قلعنها ثم عاد بناءها الظاهر ببيرس البندقداري.

وموقع السلط على منحدر جبلين متناولين أشبه بمدينة زحلة في لبنان وكانت منذ ثلاثين سنة خالية من الحدائق والبساتين فتوفرت همه أهلها على استثمار الشجار والبقول فجاد أكثرها بما عندهم من العيون التي تروي زروع الوادي أما ما كان وراء المدينة من التلعات والآكام فقد كان حراجاً إلى عهد قريب وآثار بعض سنديانه وملوله ما برحت ماثلة للعيان ولكن القوم قطعوها واستعاضوا عنها بزراعة الكروم التي بعد عنها وزبيها أجماً ما تحمله هذه الشجرة المباركة في سورية وقد يكون العنقود الواحد رطلاً شامياً وأكثره بلا بزر يصدر من زبيبه ما تقدر قيمته كل سنة بنحو خمسة عشر ألف ليرة وفي جوار السلط قليل من شجر الزيتون سألنا أحد شيوخهم عن السبب الذي دعا إلى عدم استكثار القوم من غرسه فقال لا تذكرنا

بغاوتنا فقد حملنا سعيد باشا شمدین أحد متصرفی نابلس أيام كان قضاؤنا تابعاً لنابلس  
 على أن نغرس في هذه الولاية التي تراها منة ألف زيتونة فوقع في نفسنا أن في الأمر  
 دسيسة من الحكومة تريد بها وضع الضرائب الفاحشة على أملاكنا وتسجيل أراضينا  
 على صورة لا نعود معها ملاكها الحقيقيين فصدعنا في الأمر في الظاهر وغرسنا أولفاً  
 من شجر الزيتون ولكن أندري كيف تخلصنا منه بعد؟ كان أحدنا يجيء ليلاً إلى  
 غرسة الزيتون فيحركها حتى لا يطلع جذعها وهكذا لم يبق من كل ما غرسه  
 السلطيون إلا ما تشاهده اليوم في جوار القصة وقليل ما هو.

قلنا عجيب تبدل تصورات الناس فرجال الحكومة بالأمس كانوا يحملون الناس على  
 زرع الأشجار وزيتون لهم اقتناء الأراضي للزراعة واليوم يطالب الأهليون في هذا  
 القضاء وفي غيره الراضي الموات ليحوها ولا يعطون طلبتهم وكذلك الحال في كل  
 مكان ثلثناه في طريق يثرب فإن الأهلين أحسوا بفوائد الأرض هكذا رأينا أهل  
 الشراة من عمال الطفيلة ومعان وهكذا سمعنا شكوى أهل الكرك وتبوك ومدائن  
 صالح أجمع على ذلك الطلب الحاضر والبادي ولكن لا حياة لمن تنادي في حين ورد  
 في قانون الأراضي أن كل من يحي أرضاً مواتاً تبعد عن القرى والديساكر مقدار ما  
 يسمع الصوت فهي له فآين هذا القانون المسطور من عمل الحكومة اليوم.

قرانا وجوه المهنة والنشاط في وجود السلطين مسلميهم مسيحيهم وإن كانت  
 القاعدة في سورية كلها أن يكون الميحيون أكثر نشاطاً وتعلماً من إخوانهم في  
 الوطنية. وبلددهم هذا ساعدته الطبيعة فساعدتها أهله أيضاً ودخل في طور العمران  
 ويوشك أن يعد في جملة العظيمات من المدائن والبلدات.

وسكان مدين السلط اليوم نحو ١٦ ألف نسمة يبلغ الميحيون منهم على اختلاف  
 الطوائف نحو أربعة آلاف ومعظمهم إلى اليوم يلبسون زياً كزي أهل حوران وهو

كوفية وعقان وعبادة وجرمة همراء وعادات القوم هنا أشبه بعادات البادية مع أهم حضر. وفي السلط قليل من الصناعة وتجارتها واسعة مع القبائل النازلة في البلقاء والرحالة في تلك الأرجاء وبين عمان على الخط الحجازي والسلط نحو خمسة وعشرين كيلومتراً جعل بعضه من جهة السلط طريقاً معبداً ومتى أكمل تسافر العربات والسيارات بين السلط والخط الحديدي في ساعتين وهي الآن أربع ساعات على الدواب وإذا تم اتصال السلط بالقدس بطريق معبدة تسير عليها المركبات أيضاً تعمّر السلط عمراناً مهماً وهي على بعد ٤٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من بيت المقدس و ٤٠ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من نابلس ونحو ١٨ ميلاً شرقي الأردن.

ومن سوء حظ هذا القضاء أن معدن الفوسفات الذي نال امتيازاً بتعدينه من جبل السرو في منتصف الطريق بين عمان والسلط المهندس نظيف أفندي الخالدي المقدسي على أن ينشئ فرعاً بالخط الحديدي من السلط إلى عمان يتصل بالسكة الحجازية ومرفأ في حيفا - من سوء الحظ أن قد حسبوا فوجدوها لا تفي بما وارداته ولعل الحكومة تتساهل بعض الشيء في شروطها لتقوي عزيمة تلك الشركة على استثمار هذا المعدن من قضاء السلط فيتنى لها أو لشركة أخرى تعدين سائر المعادن التي حبتها بالفطرة.

على نحو ساعة من قصة السلط منظر من أجمل مناظر سورية ونعني به جبل يوشع الواقع على علو نحو ١٠٩٦ متراً عن سطح البحر وهو مشرف على جزء عظيم من فلسطين فينتد أمامك وادي الأردن كأنه بساط ذو ألوان كثيرة ومن خلال ذلك نهر الأردن كالحية بتلويه حتى يصل إلى البحر الميت أو بحيرة لوط. ومن النبي يوشع تشاهد جبل الزيتون في الشمال الغربي ويقابلك جبل عيال وجزرهم ثم جبل الطور

وما يناوحه من الجبال المحيطة بحيرة طبرية ومن بعيد جبل الشيخ وبه تنتهي هذه المنظر من الشمال.

ويقول العارفون من الإفرنج أن الاعتقاد بالنبي يوشع الذي يذبح له البدو ويتقربون إليه هو من التقاليد الإسرائيلية القديمة وإن بناؤ قبره يرد إلى زهاء ثلثمائة سنة. وليوشع مقام أيضاً في قضاء نابلس قرب قرية حارث وجبل يوشع في البلقاء أشبه يوشع به شي أي ذروة يوشع في قرية بكرز المطلة على بحر مرمرة وخليج القسطنطينية هذا منظره بحري وذاك منظره بري ومن غريب التقاليد أن البدوي يحلف بالله ولكنه لا يحلف بشعيب ومقام شعيب على ساعتين من السلط أيضاً.

كانت عمان قصة البلقاء فانحطت في أواخر القرن الماضي بما تواتر عليها من الزلازل وغارات البادية حتى جلا عنها بقايا سكانها الأصليين فأنزلت فيها الحكومة منذ ٣٤ سنة ستمائة أسرة من الجركس من عشائر مختلفة هاجروا إلى البلاد العثمانية من ولاية كوبان الروسية وأخذوا يردون غارات البادية واعتمدوا في عمراتها على مضائهم وشجاعتهم وبنو على أنقاض مدينة ضخمة قرية لهم وساعدتهم مياها نهر الزرقا فغرسوا الأشجار وأنشأوا الحدائق واتوا بطريقتهم المألوفة لهم في الزراعة ببلادهم وقد هلك منهم أناس كثير من الفتن والأمراض حتى توطدت أقدامهم واغتوا وأصبحت الحكومة بعد أن كانت تأخذ من عمان مئة ريال في السنة تقاضى نحو ثلاثة آلاف ليرة ولا تلبث أن تزيد بزيادة عمران عمان واتساع تجارتها على أيدي الناشطين من النابلسيين والدمشقيين ومعظم تجارة البلقاء في أيديهم اليوم.

نقول أنها كانت مدينة عظيمة والدليل على أن أنقاض دار تمثيلها كبيرة جداً تكفي لجلوس ثلاثة آلاف نسمة وفي مسرحها ٤٥ صفاً على شكل نصف دائرة وفيها آثار

قلعة مهمة ومعظم بيوتها بنيت بأحجار المدينة القديمة وكذلك قرية رأس عمان الحديثة الواقعة على قيد غلوة من عمان وسكانها جراكسة أيضاً.

لا جرم أن الجركس أدخلوا روحاً جديدة إلى هذا القضاء من التوفر على الزراعة والنشاط المستمر وأن الأهليين تعلموا منهم بعض الشيء إلا أن عمال الحكومة أساؤا الامتثال فسلبوا ما كان للأهليين من الأراضي والمزارع العامرة ليعطوها للمهاجرين الجركس والششن والتركمان كما فعلوا بعين صويلح وعيون الحمر فقد كانتا مسجلتين باسم أصحابهما فأعطتها الحكومة للمهاجرين وذلك لأنه كتب للجراكسة أن يتولى مأمورية الطابو في هذا القضاء ثلاثة منهم على الولاء فكانوا يساعدون إخوانهم وأبناء جلدتهم على سلب الأراضي منهم وتسجيلها باسم المهاجرين وعلى هذه الصورة أخذ المهاجرون الناعور ووادي السير والزرقا والرصفة وغيرها. صير الناس على هذا الجور زمناً حتى صحت عزيمة بعض عشيرة الخرشان والجبور على أن يزرعوا الموقر والعليا والنقيرة وهي على نحو ثلاث ساعات من شرقي معان يسير في أراضيها الراكب عشر ساعات كما أن بعض السلطيين يزرعون اليوم في سهل الكبد في الغور وهذا السهل جيد التربة جداً لا حجر فيه ولا مدر ولو أحببت الحكومة إحياء الموات حقيقةً لأوعزت للهلين أن يحجوا أراضي الموقر والعليا كلها فإن فيها زهاء ألف بئر معطلة تحيا بعناية قليلة.

وأعظم عشائر هذا القضاء بنو صخر وهم يتنقلون بين الغور في الشتاء وأراضي البلقاء العالية في الربيع وفي الصيف يتوفرون على حصاد الأراضي التي لهم في جهات الزبراء ومادبا وهما مديريتان تابعتان للسلط كما أن عمان مديرية تابعة لها أيضاً. ونفوس قضاء السلط اخمررة اليوم ٤٢ ألفاً ولو أحصي بنو حسن وبنو صخر والبادية لبلغ سكانها مئة ألف أو يزيدون ولو ارتفع فيه علم الأمن كما يجب وأعطيت

الأراضي الموات للأهلين وسجلت عليهم بحيث لا ينازعهم فيها منازع لأن أكثر المنازعات تثور على الأراضي لبلغ سكان هذا القضاء نصف مليون نسمة بعد عشر سنين.

وأهم العاديات التاريخية في هذا القضاء قصة مادبا فقد كانت كإحدى الحرب منذ نحو ثلاثين سنة فهاجر إليها جماعة من مسيحي الكرك أعطتهم الحكومة إياها خربة فعمرها فما هو إلا وجدوا فيها آثاراً مهمة مثل سوق طونه ١٤٠ متراً له عند على الجانبين وبيننا كانوا يحفرون في أنقاض الكنية لقيموا كنيسة جديدة عثروا سنة ٨٩٧ على قطعة من الفيفاء في الصحن فرفعوا عنها المعاول وأزالوا ما كان علماً عليها بتوالي الأيام من التراب والأحجار فإذا هو أثر عظيم من آثار القدماء هو مصور (خريطة) فلسطين وما فيها من المعاهد المقدسة والكنائس ولو سلمت كلها من معاول الذين حفروها لبلغ ثمنها المليونين والثلاثة من الليرات ولكن القطعة الصالحة الباقية منها تدل على تلك المدينة القديمة التي قمت بها مادبا قديماً منذ عهد الإسرائيليين إلى الموابيين إلى العرب النبطيين إلى المكابيين وكانت في عهد هؤلاء قلعة مهمة واستولى عليها هيركان ملك اليهود قبل المسيح وأصبحت على عهد الرومانيين جزءاً من بتر أو العربية الصخرية. وآثار الفيفاء كثيرة في هذه القرية رأينا بعضها في الدور الخاصة تلمع فتأخذ الأبصار أما أنقاض دورها ومعابدها وأحواض مياهها فحدث عنها ولا حرج وقد دخل أهلها في المدينة اليوم بفضل مدرستي الروس واللاتين اللتين أنشئتتا فيها وليس بين سكانها من المسلمين إلا بعض باعة والحراثين.

قال ابن خردادبة أن ظاهر اللقاء كان كورة من كور دمشق كما أن جبل الغور وكورة مآب وكورة جبال وكورة الشراة وكورة عمدان كانت كل منها إقليمياً برأسه

قال الشاعر:

سلم على دمن أقوت بعمان ... واستنطق الربع هل يرجع ببيان  
قال ياقوت أن مدينة جرش هي شرقي جبل السواد من أرض البلقاء وعرف السواد  
بأنها نواح قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارها وفي أرض البلقاء عدة بلاد ورد  
لها ذكر في التاريخ العربي مثل قرية جدابة التي ينسب إليها الجادي وهو الزعفران  
وقرية مؤنة من المشارف التي كانت بما تطبع السيوف المشرفية والموقر الذي كان  
يتره يزيد بن عبد الملك قال كثير:

سقى الله حياً بالموقر دارهم ... إلى قسطل البلقاء ذات المحارب

والقسطل نزله الوليد بن يزيد وهو قرب البلقاء وخلفه فيه عمه العباس وكان الوليد  
يستوطن الزبيراء. وفي البلقاء قصر الأزرق والفدين قريب من حصن الزرق وهذين  
قبل أنهما من عمل حوران ومعظم الراويات على أنه من عمل البلقاء.

#### العمران والسكة نازية

إن كان لدور الاستبداد حسنة فأعظم حسناته سكة حديد الحجاز التي مدت في عهد  
المخلوع وبترين قريبه أحمد عزت باشا العابد ولتتهي منها حتى الآن القسم الأعظم  
من دمشق إلى المدينة النورة وطوله ١٣٠٣ كيلومترات ومن حيفا إلى درعا ١٦١  
كيلومتراً فانفق عليها فيما بلغنا ثلاثة ملايين ليرة ونصف صرف قسم مهم منها فقي  
مدينة دمشق فانتفع منه المتزعمون والتجار والزراع والعمللة وبعض أرباب الصناعات  
والفنون وأنفق القسم الأعظم في ثمن أدوات وقطارات ومركبات حديد من معامل  
أوربا.

وما كاد ينتهي الخط إلى المدينة حتى فضت البلاد بعض الشيء ولا سيما دمشق  
والمدينة وحيفا ففضة اقتصادية لا يستهان بها وحسن حال التاجر والمزارع وسارت  
الأمور الاقتصادية على نسق مرتب معقول فلم يعد في التجارة ذاك الكساد الذي

نعهدده في دمشق ولا التفهقر الذي كان في حيفا ولا الغلاء الفاحش في أسعار المدينة وهكذا انتفع المحطات على طول الخط من دمشق إلى المدينة وعددها ٧٥ محطة ومحطات حيفا ودرعا وعددها ١٥ فأخذت كل محطة بقدر حظها من العمران وانتفع منها في الأكثر ما كان له أثر قديم في الارتقاء.

ولو كانت الحكومة تلتفت بعض الالتفات لعمران البلدان لأخذت بأيدي كل من يودون إنشاء بيوت ودكاكين وخانات وفنادق في المحطات وأعطتهم منات الدونمات يجعلونها حدائق وينون عليها مساكن على شرط أن يعسروها في مدة تعينها لهم وإذا أمكن أن تمنح بعض محاورهم إعانة مالية قليلة يستعينون بها على العسير فكيف لا ندهش والحالة هذه إذ رأيناها ورأينا عمالها يوقفون من ينون المساكن في مثل مدائن صاخ وعددها لا يقل عن خمسين محلاً بدعوى أنه لا يسوغ إنشاء مدينة إلا بإرادة سنية فهلا استصدرت الإيرادات السنيات في الحث على مثل هذه المشروعات التي لا يتصور أنفع منها في البلاد.

هكذا فعلت الحكومة مع من يريدون إقامة الدور والحوانيت ولم تقصر في وضع العقبات في سبيل من يريد غرس أشجار البرتقال لأنه ثبت أنها تجود في تربة هذه البلدة الرملية. وليت الإدارة تحمل الحكومة على ترغيب الناس في إنشاء الدور والحدائق لما في ذلك من الفوائد لعائلها إذ يستفنون بأسراهم عن صرف أوقات الفراغ في المقامرة ومعاقرة الحمر ويقل عدد من يتعاطونها منهم.

نعم إن المحطات مالاً يبت فيه كل شيء بحسب الظاهر ولا تظطره السماء إلا ساعات غير معلومة في السنة ولا سيما بعد ارض البلقاء وهواءها جاف حار محرق وعمراتها متوقف على عمل كثير طويل ومال غزير ليس بقليل فأمثال هذه المحطات تترك الآن وينشط كل من يود اعمار الأراضي الموات قرب المحطات وإنشاء دور وحوانيت

فيها ولو فعلت الحكومة لاستغنت مع الزمن من حراسة هذا الخط بكتائب من الجنود ترابط على طول السكة واقامة اثني عشرة قلعة من الهدية إلى المدينة وهي اليوم تجعل في كل قطار يسافر بعد لواء حوران إلى المدينة جملة من الجند النظامي المسلح لحماية الركاب من عيث البادية إذا حدث حادث لا قدر الله.

نقول عيث البادية ولو أعملت الحكومة الفكر منذ اليوم الذي نوت فيه تديد هذا الخط الحربي الديني التجاري لأوسعت لهم من تلك السهول الخصبة في لواء الكرك ما كانوا الآن استخروا بزراعته عن شن الغارات وإيذاء السابلة طمعاً في اقتناص ما يتلغون به ولتوفروا على تربية مواشيهم وزروعهم كما يتوفر اليوم بنو حسن في قضاء عجلون وبنو صخر في قضاء السلط والحويطات في معان والمجالي في الضصور والطراونة في الكرك وغيرهم في غيرها وكل هؤلاء من العرب الرحل يتأنسون بقدر ما يدخل النور على أولادهم ويستثمرون أرباح الزراعة والماشية ولاشك أنهم يعدلون بنة عن الغرة كلما أسكت الأصقاع التي في جوارهم وخف الاعتداء عليهم.

ولسكة الحجاز الفضل الأكبر في تأنيس شارد البدو إذ عرفوا بأن قوة الدولة مهمة في كبح جماح كل معتد. وقد أخذت تصدر حاصلاتهم إلى الأسواق التجارية الكبرى فكانت الجنوب تكسد في بعض السنين الماضية في جهات لواء الكرك وحوران فأصبحت اليوم تسافر إلى القاصية. وأبواب الشام والحجاز والبحر مفتحة أمامها. وهكذا يقال في السمون والجبن والألبان والأصواف التي تحصل من نياقهم ومعزاهم وأغنامهم وأبقارهم.

في لواء الكرك وحده أرض موات تكفي لإعالة كل أهل البادية من العرب خصوصاً وهم الموصوفون بذلك فطرقهم ومضاه عزائهم فإذا توفرت لهم الأسباب تحصل الفائدة الاقتصادية والعمرانية المطلوبة من السكة الحجازية فعمل هذه في نقل الأنفس

والأموال والمتاجر السنة كلها لا كما هي اليوم تشغل أشهراً معدودة من السنة في موسم الحج ثم تبلى بالفطور إلا قليلاً. وأن من عرف أن هذا الخط قد عمر بالإعانات التي جمعت من أقطار العالم الإسلامي وهممة ضباط العثمانيين وكتاب جنودنا وإن مئات هلكوا في سبيل إنشائه بحيث لم يكن يند الكيلومتر الواحد إلا على أشلاء بضعة من رجالنا يوافق على تساهل إدارة السكة مع الضباط والجنود والخط خط عسكري.

ولقد لاحظنا أن القطار الحجازي يقطع المسافة اليوم بين دمشق والمدينة في ثلاثة أيام بلياليها يقف منها في المحطات الكبرى مثل درعا ومعان وتبوك والمدائن نحو اثني عشرة ساعة دغ عنك الوقت الذي يصرفه في المحطات الصغرى ون معدل سيره على عشرين كيلومتراً في الساعة فلو تدبرت الإدارة في اختصار هذه المدة في الوقوف وحملت فاطرتها على الإسراع قليلاً في سيرها وسراها لجاز القطار المسافة بيد دمشق والمدينة وبين حيفا والمدينة في يومين وليلتين فتوفر على الناس بعض عناء السفر وإذا رأَت الإدارة أنه مما يلائم مصلحتها الاقتصادية تنزيل أسعار الركوب في الدرجة الأولى والثالثة وأرجة الركوب في الثالثة من دمشق إلى المدينة أربع ليرات وفي الدرجة الأولى ثماني ليرات فأسقطت منها على الأقل ثلاثين في المئة استفادت فيما لحسب أكثر وكثر الداهبون والجاهلون وعظمت الفوائد من ذلك فعندها تقصد المدينة أكثر من الآن للزيارة والتجارة ويقصد الحجازيون بلاد الشام ليصطافوا أو يتجروا.

وليت الحكومة تساهل في الاعتماد على أبناء البلاد وتختار الجند الذين يحرسون الخط من أبناء حوران مثلاً فهم أقدر على تحمل المشاق من ابن مدن آسيا الصغرى وسورية ومقدونية ونظنها في التجربة التي جربته في الطابور الذي ألفته من الشروق بالأجرة وسمته هجين سوار أي فرسان المهجين والشروق هم سكان شرقي المدينة أي نجد قد

ثبت لها أن ابن هذه البلاد أنفع من خدمتها إذا شبع من ابن البلاد القاصية والفراس النجدي اليوم يتناول ٤٥٠ قرشاً صحيحاً في الشهر هو وهجينه وما الجندي يكلف الحكومة أقل من ذلك فضلاً عن تعرضه للهلاك من هواء بادية العرب وكذلك يقال لإدارة السكة أن تختار عمالها من العارفين لغة البلاد قبل أن يعرفوا التركية لأن في ذلك فوائد مهمة للخط نفسه وإذا كان لا بد من الاستكثار من أبناء آسيا الصغرى وغيرها في جملة عمالها فما عليها إلا أن تشترط عليهم تعلم العربية وبذلك تتضاعف خدمتها للإدارة وللبلاد معاً على أن ابن العراق والجزيرة والحجاز أقدر في كل حال على تولي أعمال هذه السكة خصوصاً في النصف الأخير منها من جهة المدينة.

وقد لاحظنا على إدارة السكة إهمال عمالها للنظافة في المركبات ولاسيما في الدرجة الأولى بحيث أنها لا تزيد الراكب فيها راحة إلا بكون مقاعدها مفروشة بالمخمل (القطيفة) وهي أضيق من مقاعد الدرجة الثالثة ولا يخفى على أمر القائمين بأمر السكة الحجازية أن التدخين محظور في القطار في الدرجات الثلاث بأوروبا دغ تعاطي المسكرات وأنه ليسوءنا ما رأيناه من أن بعض موظفي الحكومة الذين كانوا آتين من المدينة المنورة يسطون في مركبات الدرجة الأولى سفرة الشراب ويتعاطونه مع النقول اللازمة له والأغاني التي يطربون بها كأنهم في حانة أو بيت خاص من غير نكير يزدون بذلك جلساتهم وهم يكونون بعملهم أعظم عار على المسلمين والإسلام.

فليت إدارة الشركة تحظر الشراب في القطارات والمخطات على ركاها وعمالها مباشرة وتغرم من يجراً على خرق حرمة شريعة الإسلام وقانون المدينة الحديثة غرامة ثقيلة تربي كل مقترف لهذه الكبيرة فإن كان من عمال الحكومة الأمن عصم الله من يفسدون أخلاق الرعية بما يعودونهم إياه من احتساء كؤوس الراح في المديرية

والأفضية والألوية والولايات فما أحرى الحكومة أن تكف مفايدهم على الأقل عن قصاد البلد الطيب رحمة بالإنسانية والإسلام.

### بعض أعمال الكرك

قال عرس الدين الظاهري وأما المملكة الكركية فليست هي من الشام وهي مملكة بمفردها وتسمى مآب وهي مدينة حصينة معقل من معاقل الإسلام بما قلعة ليس لها نظير في الإسلام ولا في الكفر تسمى حصن الغراب لم تكن فتحت عنوة قط وإنما فتحها المرحوم صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد أن فتح القدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكانت بيد البرنس أرنلط وكان يعرض إلى حجاج بيت الله الحرام.

وقال أن الشوبك كانت مدة بيد الإفرنج وهي مضافة إلى الكرك وحصينة أيضاً ومسيرة معاملة الكرك من العلى إلى زيزة مقدار عشرين يوماً بسير الإبل وهي بلاد عديدة بما قرى كثيرة والمعاملات والمسلك إليها صعب من مقطعات قليلة الماء حتى أنه إذا وقف أحد على درب من دروبها يمنع مائة فارس اهـ.

بلدان في لواء الكرك طالما سمعنا بهما وهما قصة الكرك وقصة السلط فالأولى كنا نتوهمها أهم مما رأيناها والثانية رأيناها أهم مما سمعنا به من وصفها وهذا من جملة الأسباب التي تدور أهالي البلقاء أن يطلبوا إلى الحكومة جعل السلط في التقسيمات الإدارية مركز لواء بضم أراضى بنى حسن من قضاء عجلون وعمل حوران إليه وجعل مادبا قضاء وعمان قضاء والزيزاء قضاء وبذلك توفر على أهل القاصية من لواء الكرك العناية الشديد الذي يلاقونه بشد الرحال إلى حاضرة اللواء كلما عرض لهم عمل فقد بلغني أن أكثر الناس يتكفون من أداء الشهادة إذا طلبوا إليها من السلط إلى الكرك مثلاً وينكرونها ويتحملون الإثم في ذلك لأن الشاهد يتحيل عليه

أن يضع بضعة أيام في الذهب والإياب ويتكلف مالا طائلاً نفقه في السكة الحديدية وأجرة دواب.

فإذا اختار ابن السلط مثلاً أن يذهب إلى الكرك يضطر إما إلى المسير ثلاثة أو أربعة أيام على الدواب ذهاباً ومثلها إياباً وإما أن يركب دابة ٢٥ كيلومتراً من السلط إلى عمان ومن هذه وهي في الكيلومتر ٢٢٢ يركب القطار الحجازي إلى القطرانة وهي في الكيلومتر ٣٢٦ ومنها يركب دابة إلى الكرك مسيرة ست ساعات. وهكذا يتكلف من له عمل طفيف في مركز اللواء إلى مال جزيل ووقت طويل.

وأنكى من ذلك أن معان وهي في الكيلومتر ٤٨٩ بل أن تبوك وهي في الكيلومتر ٦٩٢ بل أن مدائن صالح وهي في الكيلومتر ٩٥٥٥ إذا اضطر أهلها إلى قصد الكرك يقطعون هذه المسافات في السكة الحديدية أو الدواب وكلاهما شاق يحتاج إلى وقت ومال فتقسم لواء الكرك الإداري مشوش مضطرب وما أحراه أن يقسم لوائين أحدهما مركزه السلط كما تقدم والثاني يجعل مركزه في معان أو إدرح وهي مدينة متوسطة من اللواء ولكنها اليوم خربة لا ساكن فيها وكانت من المدن العامرة قبل الإسلام وبعده حتى أن أهلها صالحوا في غزوة تبوك على الجزية فبلغت مائة دينار في كل رجب وذكر المقدسي أنها مدينة متطرفة حجازية شامية وعندهم بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وهو مكتوب في آدم وبذلك يستدل أنها كانت عامرة في القرن الخامس للهجرة بل إلى عهد قريب وكانت هي وموآب مدينتي الشراة.

وأرض الشراة من الشوبك إلى رأس النقب كما يحددها الأهلون اليوم أي مسيرة يوم طولاً وعرضها ساعتان وهي الأرض المفلوحة مؤلفة من تلعات وأودية وفيها عيون غزيرة لا تقل عن أربعين عيناً لا ينفع بأكثرها وقسم منها الآن في عمل قضاء الطفيلة والآخر في قضاء معان وعلى جنوب الشراة بلاد طيء أو جبال طيء وهي الحد

الجنوبي لسورية كما عرفها العرب قال خاتم الطائي وقد أغارت طيَّ على إبل  
للحارث بن عمرو الحفني وقتلوا ابناً له:

إلا أنني قد هاجني الليلة الذكر ... وما ذاك من حب النساء ولا الأشر

ولكنني مما أصاب عشيرتي ... وقومي بأقران حوالهم الصير

ليالي نخسي بين جوز ومسطح ... نشاوى لنا من كل سائمة جزر

فيا ليت خير الناس حياً وميتاً ... يقول لنا خيراً ويمضي الذي انشمر

فإن كل شر فالعزاء فإننا ... على وقعات الدهر من قبلها صير

سقى الله رب الناس سحاً وديمة ... جنوب الشراة من مآب إلى زعر

بلا امرئ لا يعرف الدم بيته ... له المشرب الصافي وليس له الكدر

وفي أذرح عين ماء غزيرة فوق أرض واسعة يمكن تشجيرها كلها ولها قلعة لا تحتاج  
إلا إلى ترميم خفيف وهي على أربع ساعات إلى الغرب الشمالي من معان وعلى  
ثلاث ساعات من وادي موسى وأنقاض دورها وعقودها وعمدها موجودة لا تحتاج  
إلا إلى بتاين فتكون مدينة تامة الأدوات في بضعة أسابيع وفيها اليوم أنقاض ثلاثة  
طواحين.

ربما يستهجن بعضهم أن نقترح جعل مركز لواء الكرك في أذرح وهي خراب وتترك  
الكرك وهي المشهورة بتاريخها خلقت بما لها من المركز الحصين الواقع على جبل عال  
خال من أطرافه لتكون عاصمة كبرى فضلاً عن مركز لواء ولكن مراكز الحكومات  
يجب أن تكون في بقعة متوسطة والكرك منحرفة عن طريق السكة الحديدي ومنحرفة  
عن نقطة دائرة اللواء وعمرانها القديم لا يشفع لها أن تكون الحاكمة على مدائن  
صاخ وهذه من الكرك زهاء ٦٦٠ كيلومتراً بل الأجدد أن تكون العقبة وتبوك

ومدائن صاخ كلها لواءاً خاصاً برأسه إذا أرادت الحكومة تحضير البادية وحكم أهلها على ما يجب.

ولعل بعضهم يعترض بقوله أن العبران مستحيل في هذه الأصقاع ما دامت خالية من السكان ولا ماء فيها ولا كلاء ولكن الحكومة الصالحة تجذب إليها الأنفس كما تحمل الأموال وناهيك بأن عشيرة الفقرا وهي لا تقل عن ٨٠٠ بيت تنتقل بين تبوك ومدائن صاخ تسكن في مدة قليلة وذلك لأن الراضي الموجودة بكثرة والمياه إذا حفر بالأرض ثلاثة أو أربعة أمتار تنبط حالاً والبقاع التي يتزلونها مستعدة كل الاستعداد للزراعة البرتقال والنخل فإذا أخذت الحكومة بأيديهم فذافروا لذة الكسب يعدلون عن عيش الغزو الذي يسوقهم إليه فقرهم ولا يلبثوا أن يصبحوا كساتر العرب الساكنة يدفعون الضرائب ويخدمون في الجندية مثل عامة العثمانيين.

لا نعتقد أن الكرك يتراجع عمداً إذا نقل منها مركز اللواء لأنه بما دهمها من الفتنة الأخيرة فتخربت بحيث لم تعد صالحة لسكنى أهلها ولا موظفيها إلا بعد بضع سنين على أن الحكومة جعلتها على نحو عشرين سنة مركز لواء ولم ترمم قلعتها ولا أتمت مكنتها الكبير ولا مسجدتها الجامع فأنت الآن إذ دخلتها تنقبض نفسك من بلد ترى الحراب يتحيفه من كل جانب فتشاهد وعينك تدمع خراباً في العقول وخراباً في النبات وخراباً في الجماد ومثل هذا البلد يعمر بالعلم والعرفان أكثر من عمرانه بالسيف والسنان.

تنقبض النفس في الكرك على جمال في طبيعتها وهي تطل من جهاتها الأربع على مناظر لطيفة ومنها البحر الميت ووادي الأردن إلى أعالي جبال أريحا وذلك لأنها كانت في معظم أدوارها التاريخية ظالمة مظلومة واشتهر أهلها بحب الغارة على عهد الإسرائيليين والموآبيين وحارباها شاول وداود وقامت قانستها جوارم وملك اليهودية

فرجعا عنها مدحورين واضحل المرآيون في القرن الثاني قبل المسيح وأصبحت الكرك مفتاح تلك البلاد على عهد الصليين واستولى عليها رنودي شاتليون الذي يسميه المؤرخون العرب البرنس أرنلظ وذلك لأنها حاكمة على طريق قوافل مصر وبلاد العرب القادمة إلى سورية وذلك حاربها صلاح الدين يوسف بن أيوب حياً عواناً وأقام الأيوبيون فيها وحصوها ومازال ملوك مصر والشام يحاصرونها ويقتلون أهلها وآخر أعمال الكركين ذبهم عسكر إبراهيم باشا المصري ثم فتنهم الأخيرة المشؤومة ويبلغ المسيحيون في الكرك نحو أربعة آلاف أكثرهم روم وفيهم لاتين وقليل من البرتستانت وفيها مدارس حقيرة لذكروهم وإناثهم ولئن كان المسيحيون اليوم على مستوى من جبراهم المسلمين وكانوا نحو ١٥ ألفاً قبل الحوادث الأخيرة أو أرقى بقليل في المدينة فيكون مستقبل هذه البلاد لهم وناميك بأن تلامذة المكتب الرشدي اليوم وهي زهاء ثلاثين تلميذاً كلهم من أولاد الميحين وإذا كان فيهم التلميذ الواحد أو الاثنان من أبناء المسلمين فيكون كاللانا غير مواظب هذا في مدارس الحكومة فما بالك في المدارس الطائفية المسيحية وتجارة البلد في أيدي أناس من أهل دمشق والحليل فقدوا أموالهم في الفتنة ولم يعوضوا عنها حتى الآن سوى سبعة في المئة مما قدر لهم.

ولم تبق الفن من العاديات القديمة ما يذكر في هذه المدينة اللهم إلا أنقاض دائرة وجميع هذه الديار كانت عامرة وهي اليوم مأوى الغراب واليوم ناميك بأن اللجون الواقعة على ساعتين من الكرك كانت بحسب ما رأينا من أنقاض ارتجتها الضخمة من المدن المهمة فأصبحت اليوم والحكومة تسكن فيها طائفة من المهاجرين وتعمر لهم دوراً فلا يلبثون أن يرحلوا عنها إذا أردوا تناقص النفوس فيها بسبب الماء والهواء وتركوا منازلهم خاوية فأنزلتهم الحكومة في بعض أنحاء اللقاء وما ندري كيف

انقلت طيعة تلك البلاد المأمولة قديماً حتى لم تعد المدينة منها تصلح لأن تكون  
مزرعة حقيرة لفساد هوائها ومائها فسيحان القابض الباسط المعبر المدمر.

### العربية الصخرية

طريق الكرك من القطرانة وطريق وادي موسى من معان يتدانان بتراب كلي مزوج  
بصلصال لا اسعداد فيه للزراعة اليوم ولذلك نظنك إذا توسطت تلك السهول  
وعرضها نحو ثلاث ساعات من الخط الحديدي نظنك في قعر بلقع حتى إذا انتصف  
الطريق تتراعى لك بعض عيون وزروع والمسافة بين معان ووادي موسى سبع  
ساعات للراكب كما هي بين القطرانة والكرك. ووادي موسى هو قرية اللجي وعلى  
نحو ساعة منه بترأ أو العربية الصخرية كما يسميها الإفرنج وسمها العرب سلعاً  
والسلع الشقوق في الجبال والغالب أن السلع قسم من العربية الصخرية وهي عبارة  
عن جبال (إذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة فإذا توسطها رأى كل قطعة منها  
منفردة بنفسها) وحدثنا من زار خرائب الحجر أو مدائن صالح أنها دون خرائب بترأ  
بمكانتها.

وكان لبترأ هذه أيام عز طويلة على عهد الدوميين والنبطيين العرب وقدماء الرومان  
والمكابين وامتد حكمها إلى دمشق وكانت بيدها زمام التجارة مدة قرون في هذا  
الشرق الأقرب ولم تحط إلا بارتقاء مملكة فارس وانسباط ظل سلطان تدمر ولما جاء  
الإسلام كانت خرائب كما هي اليوم والغالب أن بقايا مجدها أتت عليها الزلازل  
فدكتها كما دكت غيرها من المصانع والآثار.

إذا اشرف الراكب على قرية وادي موسى يرى روح النعيم فيها خصوصاً ويكون قد  
قطع ساعات في صقع أجرد أمر ليس فيه من الأشجار إلا الزعرور ولا من الغلات  
إلا قليل من الحنطة والشعير ولكن في وادي موسى حدائق بدیعة تسقى من العيون

الدافقة عليها من الهضاب المجاورة حتى تحال لنفسك لما تراه من بهجة الخضراء أنك في صقع عامر زاهر فإذا قصدت إلى العاصمة بترا أو نجيلت في السيك أي دخلت بين الجبلين المتناولين العالين وكل قطعة منهما تبلغ ألفاً من الأمتار المربعة علوها من ٣٠ إلى ٥٠ متراً وأنت تسير في طريق لا يقل عن خمسة أذرع ولا يزيد عن عشرة ليس فيه إلا الأحجار والحصى أو مسابيل ماء لا ينبت فيها إلا الرتم والطرفاء تشاهد في الأعالى النواويس والقصور والمسالات محفورة في الصخر وينفرج الطريق مسيرة نحو ثلث ساعة وينقسم إلى قسمين قسم ذات اليمين وفيه تنمة المدينة والقسم الآخر جبال طبيعية تمتد إلى بعيد وتصل بجبل هارون من أجل الناظر المشرفة على تلك الأودية والجبال.

وهنا يمثل أمامك قصر فخيم يسميه الناس خزنة فرعون والغالب أنه كان معبداً لإيزيس أنشئ على عهد الإمبراطور أدريانوس الذي زار هذه المدينة سنة ١٣١ وفي واجهة هذا القصر رواق يقدمه بضعة أعمدة كبرى وفوقها ثلاثة أعمدة أصغر منها ونقوش وتيجان وربما كان يصعد إلى العلية بلولب من الصخر بدليل ما يشاهد في الحائط من أثر الأدراج وإذا دخلت هذا الرواق ترى على اليمين قاعة كبرى تلمع أحجارها وتضوج وكأنها خرجت الآن من يد نقاشها وفي الجهة اليسرى قاعة مثلها وفي الصدر القاعة الكبرى أو الردهة المدهشة وكل هذه العمدان والسواري والتيجان والقاعات والرواق محفور في الصخر أو في هذا الجبل قطعة واحدة فكأن الحجر كان بيد صانعي هذا الهيكل وغيره من الهياكل والنواويس والقصور كالطين يجعلون منه ما يشاؤون والذي يريد في الدهشة أن الحجر أحمر في هذه الجبال أو نوع من الحجر الرملي ولكنه بتناثته كالصخر الأصم ثم ترى عليك ذاك اللعنان فمن موجة همراء إلى أخرى زرقاء إلى مثلها بيضاء إلى جانبها دكناء فسبحان من أنشأ هذا

الصخر هنا منقطع النظير ورزق بانيه يد صناعاً تتفنن في تقطيعه ونقره بما فاق به  
البناء في سائر عاديات سورية. فإن كانت قلعة بعلبك تنم عن ذوق سليم وعلم  
واسع في النقش وجر الأثقال فإن هذه العاديات الخالدة الأزلية تنادي بلسان حالها  
هذه عظمة الديان إلى جانب عظمة الإنسان.

ونرى إلى جانب الآثار قساطل من الفخار في جانب السيك الذي يشبه بعض جهاته  
الفتح الواقع في شمالي قرية معلولا في جبل سنير (قلسون) وذلك على علو القامة  
استحجرت على الصخر حتى كأنها بعضه وهناك على بضع دقائق من خزنة فرعون  
كان في الغالب يخزن ماء هذه العاصمة برمتها وعلى مقربة من مخزن الماء وهو منقور  
في الجبل أيضاً ملعب التمثيل نقر في الصخر وله ٣٣ ممشى لجلوس المنفرجين ويسع  
٣٠٠٠ نسمة وفي هذا الجوار أقدم النواويس وأهمها وبعد ذلك يجيء قصر البنات  
وهو بناء من الحجر رصفت حجارتها كما ترصف الأبنية الضخمة من قلاع وأبراج  
وأسوار ونحوها والغالب كان للمتأخرين شبه دار للحكومة وهو لما عمر قبل عهد  
الإسلام وهناك ولاسيما في حربة النصارى آثار بعض أديار يدل اسمها قبرسها على  
أنها من عمل المسيحيين عندما كانت لهم حكومة هنا على عهد الرومان واليونان  
وعلى مقربة من تلك الجبال الشوامخ والمنفرجات والأودية بعض نواويس وآثار  
ولكنها دون آثار بترا في المكانة وفي جبل الصبرا ملعب أو صورة تمثل قتالاً بين سفن  
حربية.

ويقول بعض علماء الآثار من الألمان أن معظم القبور التي حفرت على مثال قبور  
الحجر يرد عهدهما إلى الملك أرتيس الرابع أحد ملوك بترا أي ٩ و ٣٠ سنة قبل  
المسيح وبعده وليس في وادي موسى أعمدة من قبل الحكم الروماني عليها. وإن ما  
يشاهد من صور أبي الهول وايزيس ورؤوس الحملان يدل على أن هذه البلاد تأثرت

بالمدينة المصرية والمسلتان الموجدتان في الحجر تثالان ربي النبطيين الالات ودوزارس  
 وانما كانت مركز عبادة النبط قبل العهد اليوناني بسنة قرون على الأقل وإن المدينة  
 اليونانية دخلت وادي موسى على عهد البطالسة فاختلط العنصران المصري  
 والسوري وظل القول الفصل فيها للمدينة اليونانية إلى عهد أرتياس الرابع وفي بتر  
 ٨٥١ مصنعا من القبور والمعابد والمذابح.

وبالجملة فإن من أراد أن يتوسع في درس هذه المدينة الأزلية وجب عليه أن يصرف  
 أياماً في خرابتها كما يفعل بعض سياح الإفرنج وعلماء الآثار منهم فيقصدونها  
 يضربون فيها خيامهم ويصرفون في إمتاع النظر الأسبوع والأسبوعين وعلى من يحب  
 التوسع في البحث أن يستعين بما كتبه علماء الآثار من المصنفات في وصف هذه  
 المصانع بالإنكليزية والألمانية والإفرنسية وغيرها من لغات المدينة الحديثة.

في جوار هذه العاديات المدهشة المنبثة بمدينة راقية ++ يتزل نحو ألف نسمة من  
 العرب يأتون أياماً قلائل إلى الحى أو وادي موسى لعهد زورعهم السقي ثم يتقلون  
 في الصيف والشتاء في جبال الشراة على ساعتين أو ثلاث أو أربع من بلدتهم في خيام  
 الشعر وهم فرقان تؤولف الأولى من عرب الشرور ومن بني عطا والثانية من الهلالات  
 والعبيدية والعلايا ويغلب عليهم الفقر ومنهم من يزرع أراضي الخويطات والنعيمات  
 على مقربة من بلدتهم بالحنس وليس فسهم من يقرأ ولا من يكتب وفي وادي موسى  
 مدير عين حديثاً يتبع قضاء عمان كما أن في الشوبك مديراً ويلبس أهل وادي  
 موسى الكوفية والعقال ويسونونه المرير أي المفتول والعباءة وقفاطاً مسدولاً بدون  
 سراويل وفي أرجلهم نعل يعملونه من جلد البعير وينوطون به حلة يدخل منها بامم  
 الرجل لعلق وفي ألفاظهم بعض فصيح مثل قولهم لسر الليل وقولهم الهدوم للثياب

العنيفة وقولهم الريف للأراضي الخصبة والقابلة للداية وغير ذلك. ويعنون كثيراً بتربية البقر والغنم والماعز والإبل عندهم مثل بني صخر.

وما يشكود أهل معان يشكو منه أهل وادي موسى يشكون من أن الأراضي للمهاجرين غير مسجلة بأسمائهم وأن عشيرتي العيمات والحويطات تدعي ملكيتها على حين هذه لم تسجل نفوسها في سجلات الحكومة ولا تدفع إلا ما يصيها من الأموال الأميرية وهي في رحالة تضرب في الفجاج إلى نجد وأبعد من نجد ولا تتوفر على زراعة الأرض كلها وإذا قتل البدوي أحد أهل البلدين يفر فلا يلوي على شيء وإذا قتل الفلاح من أهل معان ووادي موسى رجلاً من أولئك البدو تتقاضاه الحكومة الدية وتحبسه وترهقه فكانت الحكومة لا تقوى إلا على كل ضعيف خفيف الحال. سألتنا أحد كبار شيوخ وادي موسى هل زرت يا عماد مدينة دمشق في حياتك فأجاب إنني لم أزرها أنا ولا أحد من أهل بلدي وأبي لي وبزارتها والطريق عشرة أيام لراكب المطايا وفي السكة الحديدية احتاج إلى أجرة لم أملكها في حياتي فتأمل.

وبعد فإن أجمل المناظر إذا خرجت من السيك أو من الصدفين أي من جانبي الجبلين وفارقت تلك القنن والقلل تقصد إلى عين موسى صعدا في هضاب عنقاء شماء واطلت على تلك المدينة التي يستحيل أي جيش من جيش العالم أن يفتحها ويستبيح حمى من فيها إذا أرادت الدفاع تشرف من ورائها على أرض واسعة جداً تظنها بحراً من أشعة الشمس وهي وادي عربة طوله ثلاثة أيام إلى الغرب وعرضه إلى الشمال أربعة من العقبة إلى الغور وفي تربته حصا وأحجار ورمال وأملاح وينابيع قليلة منها بعض الحضرة كما تجد هنا وهناك بعض الشجار البرية ويقصد البدو هذا الوادي في الشتاء لأنه غور يرعون فيه مواشيهم كما يقصد أهالي الطفيلة والكرك والسلط وما

جاورهم من الأغوار إلى الغرب من ديارهم ويقصدون جهات الشرق في الربيع ويتوسطون في الشتاء والصيف.

هذا ثمودج من عيش أهل الحجر والمدن من البوادي ممن تشهد خيامهم السوداء كما قال ابن معترك في وصفها:

قطع من الليل البهيم على الثرى ... سقطت وفيها أنجم الجوزاء

والتي قالت فيها الشاعرة الأعرابية يوم زوجت في دمشق وأسكت القصور والدور من اللبن والحجر:

ليت تخفق الأرياح فيه ... أحب إلي من قصر منيف

أو كما قال الشاعر:

الحسن يظهر في شيتين رونقه ... بيت من الشعر أو بيت من الشعر

ولقد أحينا أن نجربه للمرة الأولى فقلنا ليلة في أرض إبل على شيخ من عرب الشرور واسمه محمد إبراهيم وأخرى في بير البيطار على محمد أبي فرج شيخ بني عطا وهذان المتزلان على مقربة من وادي موسى وكنا بتنا ليلة في الزيزاء عند فواز بن سظام شيخ مشايخ بني صخر فرأينا العيش البدوي على اختلاف طبقاته ديمقراطية وارشترابية وثنا في العراء تخفق علينا الرياح وخرجنا عن مألوف العادات فشربنا من كأس شرب بها عشرات من قبلنا فلم تغسل كفناجين القهوة وأكلنا الجريش مزوجاً باللبن الرائب والمرق عليه رفاق تعلموها قطع اللحم والدهن بدون ملعقة ولا شوكة ولا مكين ولا صفحة خاصة ولا منديل فواكلناهم وسامرناهم وحدثناهم وحدثونا واستصحا بعضهم لصرح له أي العيش أفضل لهم البداوة أم الحضارة فقلنا لهم أنتم بالنظر لما نشأتم عليه أبقوا على بداوتكم واقربوا من المدنية ما سمحت لكم أنفسكم ولكن إياكم أن تغفلوا عن تعليم أولادكم لينشأوا نشأة مدنية أكثر من

نشأتكم وعندها إذا أحبوا أن يقطعوا عن عيش الخلاء بنة يتيسر لهم ذلك. إني أخاف عليكم أيها العرب إذا عاشرتكم الحضرة فأكثرتم من عشرتهم أن تنسوا المكارم العربية ويختلط عليكم أمركم وتضعون فطرتكم السليمة إلى ما تئن منه حضارتنا من النفاق والكذب والمزور والخبديعة ولولا الغارات لآثرت أن أعيش في هذه الديارات بين البرادي ولو أشهراً معدودة من السنة.

يتبع

### مصر والمملكة الإسلامية

#### لعالم جغرافي عربي

من أمهات كتب الجغرافيا العربية القديمة التي أحيهاها بالطبع دي كوي أحد أئمة المشرقيات في الغرب وطبعها مطبعة بريل في ليدن من بلاد هولاندة طبعة ثانية سنة ١٩٠٦ كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري ذكر فيه الأقاليم الإسلامية وما فيها من المفاوز والبحار والبحيرات والآبار ووصف أمصارها المشهورة ومدنها المذكورة ومنازلها المسلوكة وطرقها المستعملة وعناصر العقاقير والآلات ومعادن الحمل والتجارات واختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم وألوانهم ومذاهبهم ومكاييلهم وأوزانهم ونقودهم وصروفهم وصفة طعامهم وشراهم وثمارهم ومياههم ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم وما يحمل من عندهم واليههم وذكر مواضع الأخطار في المفاوز وعدد المنازل في المسافات وذكر السباخ والصلاب والرمال والتلال والسهول والجبال والحوابر والسماق (؟) والسدين منها والرقيق ومعادن السعة والخصب ومواضع الضيق والجذب وذكر المشاهد والمراصد والخصائص

والرسوم والممالك والحدود والمصادر والمحروم والمخالف والرموم والطاسيح والتخوم والصناع والعلوم والباحس والمشاجر والمناسك والمشاعر.

قال: وعلمت أنه باب لا بد منه للمسافرين والتجار ولا غنى عنه للصالحين والأخيار هو علم ترغب فيه الملوك والكبراء وتطلبه القضاة والفقهاء وتجه العامة والرؤساء ويتفع به كل مسافر ويخطى به كل تاجر وما تم لي جمعه إلا بعد جولائي في البلدان ودخولي أقاليم الإسلام ولقائي العلماء وخدمتي الملوك ومجالستي القضاة ودرسي على الفقهاء واختلافي إلى الأدباء والقراء وكتابة الحديث ومحالطة الرهاد والتصوفين وحضور مجالس القصاص والمذكرين مع لزوم التجارة في كل بلد والمعاشرة مع كل أحد والتفطن في هذه الأسباب بفهم قوي حتى عرفتها ومساحة الأقاليم بالفراسخ حتى أتقتها ودوراني على التخوم حتى حررتها وتنقلي إلى الأجناد حتى عرفتها وتفشي عن المذاهب حتى علمتها وتفطني في الألسن والألوان حتى رتتها وتدبري في الكور حتى فصلتها وبخني عن الأخرجة حتى أحصيتها مع ذوق الهواء ووزن الماء وشدة العناء وبذل المال وطلب الحلال وترك المعصية ولزوم النصح للمسلمين بالحسبة الصبر على الدل والغربة والمراقبة لله والحشية بعدما رغبت نفسي في الأجر وطبعها في حسن الذكر وخوفتها من الإثم وتجنب الكذب الطغيان وتحزرت بالحجج من الطعان ولم أودعه بانجاز والمحال ولا سمعت إلا قول الثقات من الرجال.

وقال في موضع آخر في ذكر الأسباب التي عابها في تأليف كتابه وبفهم منها مبلغ تعب في وضعه ترجمته لنفسه على أسلوب هو الأدب بعينه والإبداع الغريب قال:

اعلم أن جماعة من أهل العلم ومن الوزراء قد صنفوا في هذا البايوان كانت محتلة غير أن أكثرها بل كلها سماع لهم ونحن فلم يبق إقليم إلا وقد دخلناه وأقل سبب إلا وقد عرفناه وما تركنا مع ذلك البحث والسؤال والنظر في الغيب فانتظم كتابنا هذا ثلاثة

أقسام إحداهما ما عايناه والثاني ما سمعناه من الثقات والثالث ما وجدناه في الكتب المصنفة في هذا الباب وفي غيره وما بقيت خزانه ملك إلا وقد لزمته ولا تصانيف فرقة إلا وقد تصفحتها ولا مذاهب قوم إلا وقد عرفتها ولا أهل زهد إلا وخالطهم ولا المذكوروا بلد إلا وقد شهرتهم حتى استقام لي ما ابتغينه في هذا الباب.

ولقد سميت بستة وثلاثين اسماً دعيت وخطبت بما مثل مقدسي وفلسطيني ومصري ومغربي وخراساني وسلمي ومقرئ وصوفي ووي وعابد وزاهد وسياح ورواق ومجلد وتاجر ومذكر وإمام ومؤذن وخطيب وغريب وعراقي وبغدادى وشامى وحنيفى ومتأدب وكري ومتفقه ومعلم وفرائضى وأستاذ ودانشومند وشيخ ونشاسته وراكب ورسول وذلك لاختلاف البلدان التي حللتها وكثرت المواضع التي دخلتها ثم أنه لم يبق شيء مما يلحق بالمسافرين إلا وقد أخذت منه نصيباً غير الكدية وركوب الكبيرة فقد تفقّهت وتأديت وترهدت وتعبدت وفقهت وأديت وخطبت على المنابر وأذنت على المنابر وأئمت في المساجد وذكرت في الجوامع واختلفت إلى المدارس ودعوت في الخافل وتكلمت في المجالس وأكلت مع الصوفية المهرانس ومع الخانقانية الثرائد ومع النوابي العصائد وطرردت في الليالي من المساجد وسحت في البراري وفتت في الصحاري وصدفت في الورع زماناً وأكلت الحرام عياناً وصحبت عباد جبل لبنان وخالطت حيناً السلطان وملكت العبيد وحملت على رأسي بالزنبيل وأشرفت مراراً على العرق وقطع على قوافلنا الطرق وخدمت القضاة والكبراء وخالطت السلاطين والوزراء وصاحبت في الطرق الفساق وبعث البضائع في الأسواق وسجنت في الجوس وأخذت على أبي جاسوس وعانيت حرب الروم في الشواني وضربت النواقيس في الليالي وجلدت المصاحف بالكري واشترت الماء بالغلا وركبت الكنائس (?) والخيول ومثيت من السنائم والتلوج ونزلت في عرضة الملوك وبين

الأجلة وسكت بين الجهال ومحلة الحاكة وكم نلت العجزة والرفعة ودبر في قتلى غير مرة وحججت وجاورت وغزوت وربطت وشريت بمكة من السقاية والسويق واكلت الخبز والجليان بالسبق ومن ضيافة إبراهيم الخليل وحمير عسقلان السيل وكسيت خلع الملك وأمروا لي بالصلات وعريت وافتقرت مرات وكاتبني السادات ووبخني الأشراف وعرضت على الأوقاف وخضعت للأجلاف ورميت بالبدع واتهمت بالطبع وأقامني الأمراء والقضاة أميناً ودخلت في الرصايا وجعلت وكيلاً وامتحنت الطرارين ورأيت دول العيارين واتبعني الأردلون وعاندي الحاسدون وسعي بي إلي السلاطين ودخلت حمامات طبرية والقلاع الفارسية ورأيت يوم الفواردة وعيد بربراة وبثر بضاعة وقصر يعقوب وضياعه ومثل هذا كثير ذكرنا هذا القدر ليعلم الناظر في كتابنا إنا لم نصفه جزافاً ولا رتبناه مجازاً ونحيزه من غيره فكم بين من قاسى هذه الأسباب وبين من مصنف كتابه في الرفاهية ووضعه على السماع.

ولقد ذهب لي في هذه الأسفار فوق عشرة آلاف درهم سوى ما دخل علي من التقصير في أمور الشريعة ولم يبق رخصة مذهب إلا وقد اسعملتها قد صليت على القدمين وصليت بعدها متان ونفرت قبل الزوال وصليت الفرائض على الدواب ومع نجاسة فاحشة على الثياب وترك الصبح في الركوع والسجود وسجود السهو قبل التسليم وجمعت بين الصلوات وقصرت لأني سفر الطاعات غير أني لم أخرج عن قول الفقهاء الأنسة ولم أؤخر صلاة عن وقتها بنة وما سرت في جادة بيني وبين مدينة عشرة فراسخ فما دونها إلا فارقت القافلة وانتقلت إليها لأنظر ها قايمة وربما اكترت رجالاً يصحبوني وجعلت مسيري في الليلة لأرجع إلى رفقاني مع إضاعة المال والهم.

وبعد فقد أجاد المقدسي في تأليفه ما شاء وشاءت الإحادة ومن يعب في جمع مواد مصنفه مثل ما تعب بجيء منه آية يستفاد منها على الدهر فلم يترك شاردة في

الجغرافية الطبيعية مما يتعلق بطبائع الأرض ومياهها وجبالها وبحيراتها وسهولها إلا وذكره على حسن صورة عرفها العالم وكذلك لم يدع فائدة في علم خصائص الشعوب والجغرافيا السياسية والاقتصادية إلا ألم به إلاماً لا يستطيع أكثر منه في عصره وهو القرن الرابع. وعلى كثرة ما أتى من المواد في كتابه الذي لا يتجاوز الخمسة صفحة من هذه الطبعة فإنك تجد كل فائدة قد ذكرت في موضعها بتنسيق غريب أدهش من نظر فيه من علماء المشرقيات في الغرب فأيقروا بما رأوه أن فصل الله غير محصور بأمة معينة ولا بزمن خاص.

ولقد كنا نقول ونحن نطالع ما ورد في كتاب أحسن التقاسيم في وصف بلاد الشام وفلسطين أن هذا الفصل أجمل فصول هذا السفر لأن المؤلف قدسي يحسن معرفة بلاده ووصف ما حوت من الميزات والخيرات ولكن من طالع الكتاب برمته تتجلى له إجادته في وصف جميع بلاد الإسلام وما يجب على المطالع معرفته منها واليك الآن ما قاله في إقليم مصر.

هذا هو الإقليم الذي افتخر به فرعون على الورى وقام على يد يوسف بأهل الدنيا فيه آثار الأنبياء والته وطور سيناء ومشاهد يوسف وعجائب موسى وإليه هاجرت مريم بعمى وقد كرر الله في القرآن ذكره وأظهر للخلق فضله أحد جناحي الدنيا، ومفاخره فلا تحصى، مصره قبة الإسلام وفرد أجل الأنهار وبحيراته تعمر الحجاز وبأمله يهيج موسم الحاج وبرد يعم الشرق والغرب قد وضعه الله بين البحرين وأعلى ذكره في الخافقين حسبك أن الشام على جلالتها رستاقه والحجاز مع أهلها عباله وقيل أن هو الربوة وفرد بحري عسلاً في الجنة وقد عاد فيه حضرة أمير المؤمنين ونسخ بغداد إلى يوم الدين وصار مصره أكبر مفاخر المسلمين غير أن جدبة سبع

سین متوالية، والأعشاب والإتيان به غالية، ورسوم القبط به عالية، وفي كل حين تحمل  
بهم الداهية، عمره مصر بن حام بن نوح عليه السلام وهذا شكله ومثاله.

وقد جعلنا إقليم مصر على سبع كورست منها عامرة ولها أيضاً أعمال واسعة ذات  
ضياح جليلة ولم تكثر مدائن مصر لأن أكثر أهل السودان قبط ولا مدينة في قياس  
علمنا هذا إلا بجزر فأولها من نجد الشام ثم الجفار ثم الحوف ثم الريف ثم الإسكندرية  
ثم مقدونية ثم الصعيد والسابعة الواحات. فأما الجفار فقصبها الفرما ومدنها البقارة  
الواردة العريش. وأما الحوف فقصبها بليس ومدنها مشول جرجير فاقوس غيفا  
دبقو تونة بريم القلزم. وأما الريف فقصبها العباسية ومن مدنها شبرو دمنهور سنهور  
بناها العسل شطنوف مليح محلة سدر محلة كرمين الخلة الكبيرة سندفا دميرة بوردة  
دقهلة محلة زيد محلة حفص محلة زياد سنهور الصفري بريس.

وأما إسكندرية فهي القصة أيضاً ومنة مدنها الرشيد مربوط ذات الحمام براس وأما  
المقدونية فقصبها الفسطاط وهو المصر ومن مدنها العزيزية الجزيرة عين شمس وأما  
الصعيد فقصبها أسوان ومن مدنها حلوان قوص أحميم بلينا علاقي أجمع بوصير الفيوم  
أشونين سمسطا تندة طحا بنسة قيس ولبازاء الحوف جزيرتان في بحيرتين فهما تيس  
ودمياط.

الفرما على ساحل بحر الروم وهي قصبة الجفار على فرسخ من البحر عامرة أهلة  
عليها حصن ولها أسواق حسنة وهي في سبخة وماؤها ماخ وحولها مصيد السلوى  
معدن الأسماك الجيدة ولها أضداد عدة وخيرات كثيرة وهي مجمع الطرق مذكورة  
سرية غير أن ماءها ماخ وطيرها مزمن وهذه الكورة كلها رمال ذهبية والمدن التي  
ذكرناها وسطها وفيها طرق ونخيل وآبار وعلى بريد حانوت إلا أن الريح ربما لعبت  
بالرمال فغطت الطريق والسر فيها صعب.

بليس قصة الحرف كبيرة كثيرة القرى والمزارع عامرة بناها من طين والمشتول كثيرة الطواحين ومنها يحمل أكثر ميرة الحجاز من الدقيق والكعك وأحصيت في وقت من السنة فإذا هو يبلغ ثلاثة آلاف جمل جمل في كل أسبوع كلها حبوب ودقيق. والقلازم بلد قديم على طرف بحر الصين يابس عابس لا ماء ولا كلاً ولا زرع ولا ضرع ولا حطب ولا شجر ولا عنب ولا ثمر يحمل إليهم الماء في المراكب ومن موضع على برید يسمى سويس على الجنان ماء آجن ردي ومن مثلهم ميرة أهل القلازم من بليس وشريهم من سويس يأكلون لحم التيس ويقدون سقف البيت هي أحد كنف الدنيا مياه حماماتهم زعاق وحشمة ملولة والمسافة إليها صعبة غير أن مساحدها حسنة وبها قصور جليلة ومتاجر مفيدة هي خزانة مصر وفرضة الحجاز ومعونة الحاج واشترينا يوماً بدرهم حطباً فاحتجنا له بدرهم حطباً وهذه الدورة غير طيبة ولا أرى في ذكر بقية مدائنها فائدة.

العباسية هي قصة الريف عامرة طيبة قديمة شريهم من النيل موضع الريف والخصب بناهم أفرج من ببيان مصر بها أصداد تحمل عليها وجامع حسن من الآجر رفقة سرية والمحلة الكبيرة ذات جانين اسم الجانب الآخر سندفا بكل جانب جامع وجامع المحلة وسطها وجامع تلك على الشط لطيف وهذه أعمر وبها سوق زيت حسن والناس يذهبون ويحبون بالزوارق شبهتها بواسطة ودمية أيضاً على الشط طويلة عامرة بها بطيخ نادر.

الإسكدرية قصة نفيسة على بحر الروم عليها حصن منيع وبها بلد شريف كثير الصالحين والتعدين شريهم من النيل يدخل عليهم أيام زيارته في قناة فيملاً صهاريجهم وهي شامية الهواء والرسوم كثيرة الأمطار جامعة الأصداد جليلة الرستاق جيدة الفواكه والأعشاب طيبة نظيفة بناؤهم من الحجارة البحرية معدن الخراب وبها جامعان

على جباهم أبواب تغلق بالليل كيلا يصعد منها اللصوص وسائر المدن عامرات  
طيات وفي نواحيها خرنوب وزيتون ولز ومزارع على البعل ومن ثم يصب في بحر  
الروم وهي مدينة ذي القرنين ولها قصة عجيبة.

الفسطاط هو مصر في كل قول لأنه قد جمع الدواوين وحوى أمير المؤمنين وفصل بين  
المغرب وديار العرب واتسع بقعته. وكثر ناسه. وتنصر إقليمه واشتهر اسمه. وجل  
قدره. فهو مصر مصر. وناسخ بغداد. وفخر الإسلام ومتجر الأنام وأجل من مدينة  
السلام. خزانة المغرب. مطرح المشرق. وعامر الموسم ليس في الأمصار أهل منه.  
كثير الأجلة والمشايخ. عجيب المتاجر والخصائص. حسن الأسواق والمعاش إلى  
حماماته المنتهى. ولقبا سيرد لباقة وبها. ليس في الإسلام أكبر مجالس من جامعها ولا  
أحسن تجملاً من أهلها ولا أكثر مراكب من ساحله. أهل من نيسابور. وأجل من  
البصرة. وأكبر من دمشق. به أطعمة لطيفة. وأدامات نظيفة. وحلاوات رخيصة كثير  
الموز الرطب. غزير البقول والخطب. خفيف الماء صحيح الهواء. معدن العلماء. طيب  
الشتاء أهله أهل سلامة وعافية. ومعروف كثير وصدقة. نعتهم بالقرآن حسنة  
ورغبتهم بالخير بينة. وحسن عبادتهم في الأفاق معروفة قد استراحوا من أذى  
الأمطار. وأمنوا من غاغة الشرار. ينتقدون الخطيب والإمام. ولا يقدمون إلا طيباً  
وإن بدلوا الموال قاضيهم أبداً خطير والمحتسب كالأمير ولا ينفكون أبداً من نظر  
السلطان والوزير ولولا عيوب له كثير ما كان له في العالم من نظير وهو نحو ثلثي  
فرسخ طبقاً بعض فوق بعض.

وكانت جانبي الفسطاط والجزيرة ثم شق بعض الخلفاء من ولد عباس خليجاً على قطعة  
منها فسميت تلك القطعة الجزيرة لأنها بين العمود والخليج وسمي خليج أمير المؤمنين  
منه شربهم ودورهم أربع طبقات وخمس كالمناير يدخل إليهم الضياء من الوسط

وسمعت أنه يسكن الدار الواحدة نحو مائتي نفس وأنه لما صار إليها الحسن بن أحمد  
القرمطي خرج الناس إليها فرآهم مثل الجراد فهاله ذلك وقال ما هذا قيل هؤلاء  
نظارة مصر ومن لم يخرج أكثر. وكنت يوماً أمشي على الساحل وأتعجب من كثرة  
المراكب الراسية والسائرة فقال لي رجل منهم: من أين أنت قلت: قلت من بيت  
القدس قال: بلد كبير أعلمك يا سيدي أعزك الله أن على هذا الساحل وما قد أقلع  
منه إلى البلدان والقري من المراكب ما لو ذهبت إلى بلدك لحملت أهلها وآلاتها  
وحجارها وخشبها حتى يقال كان ههنا مدينة. وسمعتهم يذكرون أنه يصلي قدام  
الإمام يوم الجمعة عشرة آلاف رجل فلم أصدق حتى خرجت مع المتسرعة إلى سوق  
الطير فرأيت الأمر قريباً مما قالوا.

وأبطأت يوماً عن السعي إلى الجمعة فألفت الصفوف في الأسواق على أكثر من ألف  
ذراع من الجامع ورأيت القياسير والمساجد والدكاكين حوله مملوءة من كل جانب  
من المصلين وهذا الجامع يسمى السفلاي من عمل عمرو بن العاص وفيه منبره حسن  
البناء في حيطانه شيء من الفسيفس على أعمدة رخام أكبر من جامع دمشق  
والازدحام فيه أكثر من الجوامع الستة قد التفت عليه الأسواق إلا أن بينها وبينه من  
نحو القبلة دار الشط وخزائن وميضاة وهو أعبر موضع بمصر وزقاق القناديل عن  
يساره وما بدريك ما زقاق القناديل والجامع الفوقاني من بناء بني طيلون أكبر وأبهي  
من السفلاي على أساطين واسعة مصهجة وسقفه عالية في وسطه قبة على عمل قبة  
زمرم فيها سقاية مشرف على فم الخليج وغيره وله زيادات وخلفه دار حسنة ومنارته  
من حجر صغيرة درجها من خارج والحد بين أسفل وفوق مسجد عبد الله قد بنى من  
مساحة الكعبة.

ويطول الرصف بنعت أسواقه وجلالته غير أنه أجل أمصار المسلمين وأكبر مفاخرهم وآهل بلدانهم ومع هذه الكثرة اشترت الخبز الحواري ولا يجزؤون غيره ثلاثين رطلاً بدرهم والبيض ثمانية بدانق والموز والرطب رخيص يجيء أبداً إليه ثمرات الشام والمغرب وتسير الرفاق إليه من العراق والمشرق ويقطع إليه مراكب الجزيرة والروم تجارته عجيبة ومعايشه مفيدة وأمواله كثيرة لا ترى أحلى من مانه ولا أوطأ من أهله ولا أحسن من بزده ولا أبرك من فخره إلا أنه ضيق المنازل كثير البراغيث عفن كرب البيوت قليل الفواكه مياه كدرة وآبار وضرة ودور قدرة وبق متن وجرب مزمن. ولحوم عزيزة. وكلاب كثيرة. وبنين فظيعة. ورسوم وحشة أبداً على خوف من القحط وانقطاع النهر وإشراف على الجلاء وتربص بالبلاء. لا يتورع مشايخهم عن شرب الخمر ولا نساؤهم عن الفجور للمرأة زوجان وترى الشيخ سكران وفي المذهب حزبان في سمرة وقبح لسان.

والجزيرة خفيفة الأهل الجامع والمقياس على طرفها عند الجسر مما يلي مصر وبها بساتين ونخيل ومنتزه أمير المؤمنين عند الخليج بموضع يسمى المختارة والجزيرة مدينة خلف العمود كانت الطريق إليها من الجزيرة على جسر إلى أن قطعه الفاطمي بها جامع وهي أعمر وأكبر من الجزيرة والجادة منها إلى المغرب ويلقي الخليج العمود تحت الجزيرة.

والقاهرة مدينة بناها جوهر الفاطمي لما فتح مصر وقهر من فيها كبيرة حنة بها جامع بهي وقصر السلطان وسطها محصنة بأبواب ممدودة على جادة الشام ولا يمكن أحد دخول الفسطاط إلا منها لأنها بين الجبل والنهر ومصلى العيد من ورائها والمقابر بين مصر والجبل. والعزيرية قد اختلت وخربت عامنها وكانت مصر في القديم وبها كان يتزل فرعون وثم قصره ومسجد يعقوب ويوسف. وعين شمس مدينة على جادة

الشم كثره المزارع بها مسند النيل أيام زيلاته جامعهم في السوق. والمحلة مدينة على نهر الإسكندرية بها جامع لطيف وليس بها كثير أسواق غير أنها عامرة نزيهة الشط حسنة النهر يقابلها صندفاً به جامع عامر ضبتها بواسطة إلا أنه ليس بينهما جسر يعبرون في المراكب. وحلوان مدينة من نحو الصعيد ذات مغاير ومقاطع وعجائب بما حمام من فوق حمام آخر وسائر المدن على عمود النيل وخليجه.

وأسوان قصة الصعيد على النيل عامرة كبيرة بها منارة طويلة ولها نخيل وكروم كثيرة وخيرات وتجاراات وهي من الأمهات وأحجم مدينة كثيرة النخيل على بعض شعب النيل ذات كروم ومزارع منها كان ذو النون الراهد وهذه الكورة أعلى أرض مصر وفيها يخرج النيل والفيوم جليل به مزارع الأرز الفائق والكتان الدون ولها قرية سرية تسمى الجوهريات والعلاقي مدينة في آخر الكورة على طريق عيذاب وأما الواحات فإنها كانت كورة جليلة ذات أشجار ومزارع وإلى اليوم يوجد فيها صنوف الثمار وأغنام ونعم وقد توحشت متصلة بأرض السودان تسمى إقليم المغرب وبعض يجعلونها منه.

تيس بين بحر الروم والنيل بحيرة فيها جزيرة صغيرة قد بنيت كلها مدينة وأي مدينة هي بغداد الصغرى وجبل الذهب ومتجر الشرق والغرب أسواق ظريفة وأسماك رخيصة وبلدة مقصودة ونعم ظامرة وساحل نزيه وجامع نفيس وقصور شاهقة ومدينة مفيدة رقيقة إلا أنها في جزيرة ضيقة والبحر عليها كحلفة ملولة قدرة والماء في صحاريج مغلقة أكثر أهلها قبط والبلادات تطرح إلى الطرق وبها يعمل الثياب والأردية الملونة وثم موضوع قد نضد فيه موتى الكفار بعض على بعض ومقابر المسلمين وسط البلد.

دمياط تسير في هذه البحيرة يوماً وليلة ربما لفيك ماء حلو وأزقة ضيقة إلى مدينة أخرى وهي أطيب وأرحب وأوسع وأفسح. وأحزب وأكثر فواكه. وأحسن بناء وأوسع ماء. وأحذق صناعات. وأرفع بناء وأنظف عمالاً. وأجود حمامات. وأوثق جدارات. وأقل أذيات. من تيس عليها حصن من الحجارة.

كثيرة الأبواب وفيها باطات كثيرة خريت ولهم موسم من كل سنة يقصدها المرابطون من كل جانب وبحر الروم منها على صيحة دور القبط على ساحله وثم يفيض النيل في البحر. وشطا قرية بين المدينتين على البحيرة يكنها القبط واليها ينسب هذا البر وطحا قرية بالصعيد يعمل بها ثياب الصوف الرفيعة ومنها كان الفقيه الإمام أبو جعفر الأزدي ويصنع بهنسة الستور والأثناط والكتان الرفيع مزارعه بوضير.

جمل شون هذا الإقليم

هذا إقليم إذا أقبل فلا تسأل عن خصبه ورخصه وإذا أجذب فتعود بالله من فحطه يمد سبع سنين حتى يأكلون الكلاب ويقع فيهم الوباء المريح اشد حراً من سواحل الشام ويرد في طوبه برداً شديداً به نخيل كثيرة وعامة ذمته النصارى يقال لهم القبط ويهود قليل. كثير المخدمين وبيت الجرب لأنه عفن وأكثر آدمهم السمك. وعلى مذاهب أهل الشام غير أن أكثر فقهاءهم مالكيون ألا ترى أنهم يصلون قدام الإمام ويربون الكلاب.

وأعلى القصة وأهل صندفا شيعية سائر المذاهب بالفسطاط موجودة ظاهرة وثم محلة الكرامية وجبلية للمعتزلة والحنلية والفتيا اليوم على مذاهب الفاطمي التي تذكرها في إقليم المغرب. والقراآت السبع فيه مستعملة غير أن قراء ابن عامر أقلها ولما قرأت بها على أبي الطيب بن غلبون قال دع هذه القراءة فإنما عتيقة قلت: قيل لنا عليكم بالعتيق قال: فعليك بما قرأت عليه لأبي عمرو فكان يأمرني بضخيم الرءاء من مريم

والتورية والغالب عليهم والمختار عندهم قراءة نافع وسمعت شيخاً في الجامع السفلاي يقول: ما قدم في هذا الخراب أمام قط وهو يتفقه لملك ويقراً لنافع غير هذا يعني ابن الخياط قلت: ولم ذلك قال لم نجد أطيب منه وكان شفعوياً أبو عمر يا ولم أر في الإسلام أحسن نعمة منه لغتهم عربية غير أنها ركيكة رخوة ودمتهم يتحدثون بالقبطية وهو بلد التجارات يرتفع منه أديم جيد صور على الماء تخين لين والبطنان الحمر والمملختات؟ والمثلث هذا من مصر ومن الصعيد الأرز والصوف والتور والخل والزبيب ومن تيس لا دمياط الثياب الملونة ومن دمياط القصب ومن الفيوم الأرز وكتان دون ومن برصير قريدس الكتان الرفيع ومن الفرما الحيتان ومن مدنها القفاف والحبال من الليف في غابة الجودة ولهم القباطي والأرز والخيش والقباداني والحصر والحبوب والجلبان ودهن الفجل والزنبق وغير ذلك.

الخصائص. ولا نظير لأقلامهم وزواجهم ورخامهم وخلهم وصوفهم وحيثهم وبرهم وكتافهم وجلودهم وخذومهم وهملختاتهم وليفهم ووزنهم وموزهم وشعهم وقندهم ودفهم وصعهم وريشهم وغزلهم وأشنانهم وهريستهم ونيذقم وحصهم وترمسهم وقطرهم وقلفاسهم وحصرهم وحرهم وبقرهم وحزمهم ومزارعهم وهرهم وتعدهم وحسن نعمتهم وعمارة جامعهم وحالومهم وحيثهم وحيثانهم ومعاشهم وتجارهم وصدقاتهم كل ذلك في غاية الجودة.

وقد اجتمع بها من خصائص فلسطين القلقاس وهو شيء على قدر الفجل المدور عليه قشر وفيه حدة يقلى بالزيت ويطوح في الشكاج والموز وهو على مقدار الخيار عليه مزود رقيق يقشر عنه ثم يؤكل له حلاوة وعفوصة والجميز وهو أصغر من التين له ذنب طويل والترمس وهو على قدر الظفر يابس مر يحلى ويملح والبق وهو على قدر الزعرور فيه نواة كبيرة حلوة وهو ثمرة شجر السدر ويزيدون عليهم بالنيدة وهي

السمنوا غير أن عجيب الصعة يسط على القصب حتى يجف ويعلك دهن اللسان من نبت ثم.

والنقود القديمة المتقال والدرهم ولهم المربقة همسون بدينار ويكثرون التعامل بالرضي وقد غير الفاطمي النقود إلا هاذين وأبطل القطع والمثاقيل. والمكايل الوبية وهي خمسة عشر منا والأردب ست وبيات والثليس ثمان وهي بطالة والرسوم بجوامع هذا الإقليم إذا سلم الإمام كل يوم صلاة الغداة وضع بين يديه مصحفاً يقرأ فيه جزءاً ويجتمع الناس عليه كما يجتمع على المذكورين ولهم آذان ينفردون به على طريق النياحة ثلث الليل الأخير وله قصة يأترونها بين العشائين جامعهم مخصص بحلف الفقهاء دائمة القراءة وأهل الأدب والحكمة ودخلتها مع جماعة من المقادسة فرمنا جلسنا نتحدث فنسمع النداء من الوجهين دروراً وجوهكم إلى المجلس فنظر فإذا نحن بين مجلسين على هذا جميع المساجد وعددته فيه مائة وعشرة مجلس فإذا صلوا العشاء أقام البعض إلى ثلث وأكثر سوقهم إذا رجعوا من الجامع ولا ترى أجل من مجالس القراءة به وبه مجلس للمتلعبين ولهم إجراء ويضربون على جوامعهم شراعات وقت الخطبة مثل البصرة ويخلو أسواقهم أيام الجمع.

قال ما يلبسون ثوباً غسلاً أو نعلاً قد امصطت ولا يكثرون أكل اللحم ويكثرون الإشارة في الصلاة والنخع والمخاط في المساجد ويجعلونه تحت الحصر ويحجزون في الرماثيق وقت البيادر ما يكفيهم إلى عام قابل ثم يسونه ويحجنونه ولهم باذهنجات مثل أهل الشام تحمل وترو وتخلق بينهم الكبرى ورأس الله والصغرى وحق على يحون رؤوس الأسماك ويقال أنهم إذا رأوا شامياً قد اشترى سمكاً اتبعوه فإذا رمى رؤوسها أخذوها يكثرون أكل الدليس أفذر شيء حيوان بين زلفتين صغيرتين يفلقان ويحسى مثال المخاط.

ومن عيوبهم ضعف قلوبهم وقلة ثمارهم وأهل الشام أبداً يعيرونهم ويسخرون منهم ويقولون معطر أهل مصر الندى وطيرهم الحدا وكلامهم سيدي رحو مثل النسا أعزل الله مالك كذا أكلهم الدليس ونقلهم الحمص وجنهم الحالوم وحلواهم النيد وقطائعهم الخازير وخبثهم كفر.

وأما النيل فلم أذق ولا سمعت أن في جميع الدنيا ماء أحلى منه الأهر المنصورة وزيادته من شهر بؤنة إلى شهر توت وقت عيد الصليب ولهما سدان أحدهما بعين شمس ترعة تسد بالحلفاء والتراب قبل زيادته فإن أقبل الماء رده السد وعلا الماء على الجرف أعلى القصة فيقي تلك الضياغ مثل بميت واليتين وشيرو ودمنهور وهو سد خليج أمير المؤمنين فإذا كان يوم عيد الصليب وقت انتهاء حلاوة العنب خرج السلطان إلى عين شمس فأمر بفتح هذه الترعة وقد سد أهل الجرف أفواً أثارهم حتى لا يخرج الماء منها وجعلوا عليها الحراس فينحدر الماء إلى ضياغ الريف كلها والترعة الأخرى أسفل من هذه وأعظم غير أن السلطان لا يحضرها ويين بفتحها النقصان في النيل وهي بسردوس والمقياس بركة وسطها عمود كويل فيه علامات الأذرع والأصابع وعليه وكيل وأبواب محكمة يرفع إلى السلطان في كل يوم مقدار ما راد ثم ينادي المنادي زاد الله اليوم في النيل المبارك كذا وكذا وكانت زيادته عام الأول في هذا اليوم كذا وكذا وعلى الله التمام ولا ينادى عليه إلا بعد أن يبلغ اثني عشر ذراعاً إلا ما يرفع إلى السلطان حسب والاثنى عشر ما يعم ضياغ الريف فإذا بلغ أربعة عشر ذراعاً سقى أسفل الإقليم فإذا بلغ ستة عشرة امتشر الناس وكانت سنة مقبلة فإن جازوها كان الحصب وسعة فإذا نضب الماء أخذوا في الحرث والبذر وفي أيام زيادته تبخر مصر حتى لا يمكن الذهاب من هذه الضيعة إلى الأخرى إلا في الزواريق في بعض المواضع.

الفسطاط جبل فيه معدن الذهب ولهم معادن زاج الحبر لا ترى مثله وطين يسمى  
الطفل وفي المقطم مقاطع حجارة بيض حسنة تنشر كما ينشر الخشب. ثم ذكر  
مشاكل مصر مع الاحتراز من الخرافات الشائعة بشأنها في الجملة قال وعلى صحة  
من الفسطاط موضع يسمى قرافة فيه مسجد وسقايات حسنة وخلق من العباد  
وموضع خلوة وسوق لطلاب الآخرة وجامع حسن ومقابرهم في غاية الحسن  
والعمارة ترى البلد غبراء والمقابر بيضا ممتدة على طول المصر فيها قبر الشافعي وذكر  
بعض عجائب مصر مثل هرمي الجزيرة وقال إنما مقابر ألا ترى إلى ملكوك الديلم  
بالري كيف اتخذوا على قبورهم قباباً عالية وأحكموا جهدزهم وعلوها طاقتهم كيلا  
تندرس وذكر منارتي عين شمس أو مستليها ومغائر حلوان وبرابي الصعيد ومنارة  
الإسكندرية وعدد الشهور القطبية وقال أن طول مصر من بحر الروم إلى النوبة أقل  
من شهر وعرضه من الجنوبي ثمان مراحل ومن الشمالي اثنا عشرة وللدخلة فيه عند  
بحر القلزم أربع مراحل أما الولايات فللفاطمي وهم في عدل وأمن لأنه سلطان قوي  
غني والرعية في راحة ومن ثم سياسة ونفاذ أمر وكل سامع مطيع من الأركان سراً  
وعلانية لا يخطب إلا لأمر المؤمنين حسب. ثم ذكر خراج مصر نقلاً عن قدامة ابن  
جعفر وابن الفقيه إلى أن قال:

وسألت بعض المصريين ببخارى عن الخراج فقال ليس على مصر خراج ولكن يعتمد  
الفلاح إلى الأرض فيأخذها من السلطان ويزرعها فإذا حصد النبس ودرس وجمع  
وشمت بالعرام وتركت ثم يخرج الخازن وأمين السلطان فيقطع كرى الأرض ويعطى ما  
بقي للفلاح قال وفيهم من يأخذ من السلطان تقوية فيزاد عليه في كرى الأرض  
بمقدار ما اقتطعه قلت فلا يكون لأحد ثم ملك وضيعة قال لا اللهم إلا أن يكون

رجل اشترى من أقطعه السلطان في القديم ووهبها فاحتاج هو أو ذريته إلى ثمنها فباعها لعامة الناس.

وقال: وأما الضرائب فتقيلة وخاصة تنيس ودمياط وعلى ساحل النيل وأما الثياب الشطوبية فلا يمكن القبطي أن يتسبح (لعله يتسبح) شيئاً منها إلا بعدما يختم عليها بختم السلطان ولا أن تباع إلا على يد سماسرة قد عقدت عليهم وصاحب السلطان يثبت ما يباع في جريدته ثم تحمل من بطونها ثم إلى من يشدها بالقش ثم إلى مبادايشدها في السفط وإلى من يحزمها وكل واحد منهم له رسم يأخذه ثم على باب الفرضة يؤخذ أيضاً شيء وكل واحد يكتب على السفط علامته ثم نفتش المراكب عند إقلاعها ويؤخذ بتنيس على زق الزيت دينا ومثل هذا وأشباهه ثم على شط النيل بالفسطاط ضرائب فقال رأيت بساحل تنيس ضرائباً جالساً قيل قبالة هذا الموضع في كل يوم ألف دينار ومثله عدة على ساحل البحر وبالصعيد وساحل الإسكندرية وبالإسكندرية أيضاً على مراكب الغرب وبالفرما على مراكب الشام ويؤخذ بالقلم على كل حمل درهم.

وهنا ذكر المسافات بين الأقاليم بحساب المراحل وكل ذلك مشبع بالفوائد العمرانية التي لا تكاد تراها في الكتب الأخرى الملة بذكر البلاد الإسلامية ولا بأس بأن نختم هذا الفصل بنموذج آخر من كتاب المقدسي في ذكر مملكة الإسلام قال:

اعلم أن مملكة الإسلام حرسها الله تعالى ليست بمستوية فيمكن أن توصف بتربيع أو طول وعرض وإنما هي متشعبة يعرف ذلك من تأمل مطالع الشمس ومغارها ودوخ البلدان وعرف الممالك ومسح الأقاليم بالفراسخ وسنجهتهد في تقريب الوصف وتصويره لذوي العقول والإفهام إن شاء الله تعالى الشمس تغرب في حافة بلد المغرب ويرونها تنزل في البحر المحيط وكذلك أهل الشام يرونها تنزل إلى بحر الروم وإقليم

مصر يأخذ من البحر الرومي طولاً إلى بلد النوبة ويقع بين بحر القلزم وتخوم المغرب ويمتد المغرب من تخوم مصر إلى البحر ابيض مثل الشريطة يضغطه من قبل الشمال بحر الروم ومن قبل الجنوب بلدان السودان ويمتد إقليم الشام من تخوم مصر نحو الشمال إلى بلد الروم فيقع بين بحر الروم وبادية العرب وتتصل البادية وبعض الشام بجزيرة العرب ويدور على الجزيرة بحر الصين إلى عبادان من أرض مصر ويتصل أرض العراق بالبادية وبعض الجزيرة ويصل بتخوم العراق الشمالية إقليم أقور فيمتد إلى بلد الروم وقد تقوس عليه الفرات من نحو الغرب ووقع خلف الفرات بقية البادية وطرف من الشام فهذه أقاليم العرب ووقعت خوزستان والجهال على تخوم العراق الشرقية وطائفة من الجبال وإقليم الرحاب على تخوم أقور الشرقية ووقعت فارس وكرمان والسند خلف خوزستان على صف واحد البحر جنوبيها والمفازة وخراسان شماليها وتاخمت السند وخراسان من جهة الشرق بلدان الكفر وتاخمت الرحاب بلد الروم من قبل الغرب والشمال ووقع إقليم الديلم بين الرحاب والجبال والمفازة وخراسان فهذه مملكة الإسلام فتدبرها وفيها تقتل وتخرج لمن شقها من شرقها إلى غربها ألا ترى أنك إذا أخذت من البحر ابيض إلى مصر كنت على الاستواء ثم قيل يسيراً إلى العراق ثم تنقل في أقاليم الأعاجم وخراسان مانلة إلى جهة الشمال أولاً ترى أن الشمس تطلع عن يمين بخارا من نحو إسبيجاب.

وأما مساحتها على الوصف الذي شرحناه فإنك تأخذ من البحر ابيض إلى القيروان مائة وعشرين مرحلة ثم إلى النيل ستين مرحلة ثم إلى دجلة ستين مرحلة ثم إلى جيحون ستين مرحلة ثم إلى ثونكت خمسة عشر يوماً ثم إلى طراز خمسة عشر يوماً وإن عطفت إلى فرغانة فمن جيحون إلى أوزكنت ثلاثون مرحلة وإن عطفت إلى كاشغر فأربعين مرحلة. ووجه آخر تأخذ من سواحل اليمن إلى البصرة خمسين يوماً ثم إلى أصفهان

مائة فرسخ ثمانية وثلاثين ثم إلى نيسابور ثلاثين مرحلة ثم إلى جيحون عشرين مرحلة ثم إلى طراز ثلاثين مرحلة وهذا على الاستواء ويسقط إقليم مصر والغرب والشام. وأما العرض فمختلف جداً لأن إقليم المغرب قليل العرض وكذلك مصر ثم إذا حاذيت الشام اتسعت المملكة ثم لا تزال تسع حتى تصير وراء جيحون إلى بلد السند نحو ثلاثة أشهر وأما أبو زيد فجعل العرض من ملطية ماراً على الجزيرة والعراق وفارس وكرمان إلى أرض المنصورة ولم يذكر المراحل إلا أنها تكون نحو أربعة أشهر غير عشرة أيام والذي ذكرنا أبين وأتقن فمن أقصى المشرق بكاشغر إلى السوس الأقصى نحو عشرة أشهر.

قدر للخليفة سنة ٢٣٢ ما يرتفع من الخراج والصدقات سوى الحماميات والحبايات من جميع المملكة فبلغ ألفي ألف وثلاثمائة ألف وعشرين ألفاً ومائتين وأربعة وستين ديناراً ونصفاً قال وحسب خراج الروم للمعصم فبلغ خمسمائة قنطار وكذا قنطار فإذا به أقل من ثلاثة آلاف ألف دينا فكذب إلى ملك الروم أن أحسن ناحية عليها أحسن عبيدي خراجها أكثر من خراج أرضك. وطول المملكة على ما قدمناه ألف وستمائة فرسخ كل مائة فرسخ ألف ألف ومائتا ألف ذراع فالفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربعة وعشرون إصباعاً والإصبع ست حبات شعر مصفوفة طولاً بعضهما إلى بعض الميل وثلث الفرسخ وفي البريد خلاف بالبادية والعراق اثنا عشر ميلاً وبالشام وخراسان ستة ألاف ترى كيف بنى بخراسان على كل فرسخين رباط ورتب فيه أصحاب البريد فهذا نأخذ اهـ.

ولا يسع المنصف بعهد تلاوة هذه النمودجات من المصنف العلامة إلا أن يجذب العلماء العرب فيما دنوه بحسب ما انتهى إليه ارتقاء العلم في عصورهم وإذا وقع لهم ما يؤخذ اليوم عليهم وهو قليل جداً بحسب ما أدانا إليه البحث والتنقيب فإن هذا لا

يقدم في أسفارهم ولا يحول بينا وبين إحيائها وتدارسها على علاقتها خلافاً لما يتبحر به النطعون من المتفرجين منا من لم يسعدهم الحظ أن يدرسوا كتاباً عربياً وغاية عليهم أنهم قرأوا مبادئ العلوم باللغات الإفرنجية وحمدوا عليها جمود بعض الفقهاء على ما قاله المتأخرون منهم وترك الرجوع إلى الأصل الصحيح من كتب السنة بدعوى أن المتأخرين جرروا كل شيء فلم يبق بنا حاجة إلى الأخذ عن قبلهم.

### اللغة الانتقادية

رأينا في اللغة مجلد شاذ الطرفين قديم الخط والورق صغير الحجم والقطع غير أن أسلوبه وصحة عبارته وورصفها تقتضي قدم تأليفه كما أن ترسل المؤلف ووفور مادته وسعة اطلاعه حتى إننا لم نعثر فيما قرأنا منه على نقل أو تعويل إلا نادراً توجب أن يكون أحد أئمة اللسان ولعل أديباً من صرعى الكتب والآثار يطلع على ما نشره منه فيطلعنا على مصنف الكتاب وعلى حقيقة الكتاب.

هذا وفي الموجود من أول المجلد كلام على المترادفات ثم أبواب في مباحث لغوية مفيدة مرتبة على زئات الأسماء والأفعال وفيه فصول مختلفة ممتعة والذي يهنا مباحث الانتقادية فقد جاء فيها ما نصه :

باب ما هو مكسور الأول مما فتحته العامة أو ضمت

مما فتحته الصنارة والجنازة والرطل للمكيال والجص والرخو والأثد وضربت علاوته أي رأسه وأيضاً ما علق على البعير والجمع العلاوى وعلاوة الربح وسفالتها بالضم واستعمل فلان على الشام وما أخذ أخذه وأخذت بأخذنا أي بخلاتنا والجواب والإهليلجة والثثة وفلان يزل العلو والسفل والطنفسة والدهليز وشاعرت المرأة نمت معها في شعار وشعار القوم في الحرب والترياق والدرياق والسواك والوشاح والديوان والديباج وجمام القدح وأما الجمام (بالضم) ففي الدقيق ونحوه وفصح

النصارى إذا أفطروا وأكلوا اللحم والمرفق مرفق اليد وما يرتفق به وأنفخة الجدي  
وقيل منفخة وأنت على رياس أمرك ورياس السيف مقمضة والعامة تقول رأس  
أمرك.

ومما تقوله العامة بالضم صوان الثوب لما يصاب به ودابة بها قمص وتخر شهرين  
وكسرى ومما الفتح فيه لغة الرطل للمكيان والمسترخي من الرجال والبرز ويوم  
الأربعاء وأما جرو الكلب والإصبع فيالكسر والضم والفتح.

باب ما يتكلم فيه بالصاد مما تتكلم العامة فيه بالسين وبالعكس  
نبيذ أو لبن قارض يقرص اللسان ويوم قارس والبرد قارس وسمك قريس وليلة ذات  
قرس ولا تقل بالصاد.

بخصت عنه وبخصت حقه وبصق بصاقة ويزق ولا تقل بسق وبسق النخل طان  
وبسق فلان في علمه علا ويقال يتألق (بصاقة القمر) فص الشاة والنس تتبع النمام  
وقد أفرصك الأمر وأصل الفرصة أن يتفارض القوم الماء القليل فيكون لهذا نوبة  
فيقال جاءت فرصتك أي وقت استقانتك قمره قهره وقصره حبه وامرأة قصيرة  
مقصورة أي محبوسة دابة شمس أي بينة الشمس عند الإسراج أو المشي والصندوق  
وصنجة الميزان ولا تقل صنجة والرساغ حبل يشد في رشغ البعر يمنعه من الانبعاث  
والصماخ ولا تقل السماخ وأصاخ إلى الشيء استبع وتقصصت أثره وتقصصت  
صوته بالليل وأخذ حصر احتبس بطنه وأسر احتبس بوله.

باب ما يغلط فيه العامة فيتكلم بالياء وإنما هو بالواو :

" جفوت الرجل فهو مجفرو ولا تقل جفيته وأما قول الشاعر "

فليس بالجافي ولا الجافي.

فبني على جفى جنوت عليه وحيث امرأة حانية أقامت على وادها فلم تتزوج  
 وحيث العود والظهر وحنوقهما هجوته فهو مهجو ولا تقل هجيته فلوت المهر  
 وافتلته فصلته عن أمه غدوته غذاء حسناً عروته أتيه فهو معرو وعزوته إلى أبيه  
 نسبه وعزيبته لغة واعتريت إلى أبي وقروت الأرض قروا نبعثها وقريت الضيف أقربه  
 قرى وقرا غلوت في القول غلواً وغليت عليه من شدة الغيظ أغلى غلياً وغليناً  
 وخلوت به أخلو خلوة وخلت دابتي خلياً جزرت لها الخلى وهو الأخضر أو الرطب  
 من النبات يقال أخلت الأرض أي كثر حلالها والواحدة خا .

عنوت أي خضعت وعنوت من بني فلان صرت فيهم عانياً أي أسيراً وعنوت الأرض  
 بالنبات تعنو عنواً ظهر نبتها وأعناد المطر وعيت فلاناً بكلامي حزا السراب  
 الشخص مجزود حزواً رفعه وحزى فلان الشيء يحزبه حزباً حيرصه وتقول كم تحزى  
 هذا النحل عنوت يا فلان تعنوا عنواً ولا تقل عيت وجلوت الصفر وجلوت عن  
 البلد أجلو جلاءً وعفوت عنه عفواً وبينهما بون بعيد أي تفاوت وما أحوله إذا كان  
 محتالاً وقد تحول أي احتال ورجل حول ما أحيله لغة وهي الحول والحيل.

أبوت الرجل أبود صرت له أباً وماله أب يأبوه وأبيت الشيء أباه أبناء وسروت  
 الثوب عني أسرود سرورا وسريت الليل وأسريت.

ما جاء على فعلت مما تكسرده العامة أو تضمه

عيت ودمعت عيني وعطس وشعل وسبح ولح ونكل وكللت من الإعياء وكفل  
 به وجهد ووجد وعتب وحرص ولعب سأل لعبه ونحل جسمه ونحلت فلاناً أعطيه  
 ونحلت القول نحلةً ولعب وعتت نفسه وغثا السيل وعلت القدر وولع الكلب ولث  
 من الإعياء وذوى العول وذبل وجمد الماء وجمدت النار تخمد وعمد وقصد وعجر عن  
 الأمر وعجزت المرأة كبرت عجيزاً وعجزت (مضعفاً) صارت عجوزاً وهدت النار

وهمد الثوب بلى وغوى الرجل جهل وغوى الفصيل لم يرتو من لبان أمه ثم لا يروى من اللبن حتى يموت هزالاً وأما زعف وصلح وفسد فالضم في ثلثها لغة.

باب من يتكلم فيه فعلت لما تغلظ فيه فتقول أفعلت

نعشت الرجل رفعته ومنه نعش الميت ونجع في الرجل الدواء وفي الدابة العلف ونبذت البيذ والشيء من يدي وشغلته وسعرهم شراً وجملت الشحم واجتمكته أذبتة وهزلت دابتي وفي المنطق هزلاً ووقفته على كذا وذابتي وبشيء على ولدي وجنبت الريح وشملت ودبرت وأجنبا وأشملنا وأدبرنا ودخلنا وجنبا وشملنا أصابتنا وبرق ورعد السماء والرجل يتهدد وحكى أرعد وعدته خيراً وشراً فإن اصقطوا الخير والشر قيل في الشر أوعدته وكذلك إذا ذكروا الباء معه قالوا وعدته بشر وكبه الله لوجهه وعلف الدابة أو رستتها وخششت البعير وعظت فلاناً وحميت المريض.

باب ما يتكلم فيه بأفعلت مما تكلم العامة فيه بفعلت

أديته أعتته واستأديت الأمير عليه أنبه أعطيه وأنبه قصدته أبدرنا طلع علينا البدر وبدرنا إلى كذا أبريت الناقة جعلت لها براً وبريتها حسرقا وأبسست للغنم بالماء وبالإبل للحلب صوت بها وناقاة بسوس ندر بالإيساس وبس السويق لته بالسمن بشرت الأرض عند نبتها وما أحسن بشرقما وبشرت الأديم فشرت باطنه أبعته أعرضته للبيع وبعته من فلان أبغيته أعتته على الطلب وبغيته طلبته أبقل الرمث فهو باقل وبقل وجهه خرج شعره وناب البعير طلع أقرب استغنى وترب افتقر أتلد في أرض كذا أقام وتلد قدم اتبع القوم إذا سقوك فلحقهم واتبعهم وتبعهم مروا بك فمضيت معهم أترى بنوا فلان كثر ما لهم والأرض كثر ثراها وثرى بثرى فرح وثروناهم كثرناهم أنللت كذا أصلحته وثللت البيت أهدمته ومنه ثل عرشه أي ذهب عزه أجبرته على الأمر أكرهته وجبرت الفقير أعطيه والعظ فجبر أي الخبير

أحد قل خيرد ووجد أنكر أجرب فلان جربت إبله جرباً أجورت الفصيل شققت  
لسانه بخلال يمنعه عن الرضاع وفلاناً الرمح طعنته فتركته فيه يجرد والفرس رسنه  
وجر الحبل وجريده جنابة أجز النخل حان أن يجز وجززت النعجة والكبش وحلقت  
النيس والعتر ولا يقال فيها جززت أجم الأمر وجم الماء جوماً اجتمع في البئر  
والفرس جهاماً ترك أياماً من الركوب وأجزم جرمةً جنى جنابة وجرم الصوف جرد  
والنخل صرمه ونخل جريم أجززت القوم أعطيتهم وجزرة يذبوحها أي شاة سمينه  
والجمع جزر وجزرت الخزور نحرقتها وجزر الماء قل أجلب قته جعل عليه جلدة رطبة  
ثم تركها حتى يس وجلب على فرسه جلباً صاح أجمع أمره عزم عليه وجمعت الشيء  
جمعاً وجمعت المرأة لبست الخمار والدرع والملحفة ما أجمل الحساب وفي صيغه إجمالاً  
وجمل الشحم واجتمله أذابه والجميل المذاب منه أجنى الثمر أدرك وجنيت جناً أجنته  
بكذا إجابة وجابة وجبت الصخرة خرقتها أهددت السكين وحددت حده عضبت  
وحدت المرأة وأحدت تركت الزينة أحبر جلده ترك حياراً وحبراً ترك أثراً وحيرد  
سرد والحيرة والحبر السرور احتسبت فرسي في سبيل الله وأحبسته فهو محبسي  
وحبت فلاناً في الحبس أحجل بعيرد أطلق يده اليمنى وقيد اليسرى وحجل الغراب  
أحجم عن الأمر كف وحجم الحاجم فلاناً والصبي ثدى أمه وفلان جملة جعل له  
حجاماً لثلا بعض وبعر محجوم أهديته أعطيته وحدوته جلست بحذانه وحدوت النعل  
بالنعل وحدت الشفرة يد قطعنها والبيد يحذي اللسان أحبسته أكثرت له حتى قال  
حسب وحسبت الحساب حساباً وحسباناً وحسية أهدته وجدته محموداً أحصره منعه  
من سير أو حاجة وحصره العدو ضيق عليه والحصير اختس ورجل حصير وحضور  
لا يخرج من ثمن الشراب ما يخرج أصحابه. أحميت المسار وحميت المكان أحمات  
البئر ألقيت فيها الحمأة وهما نزعتهما منها الحمأة وأحال حالت إبله فهي حبال والماء

صبه وبالدين على فلان وحال انقلب على العهد والقوس انقلبت عن العطف والحوول  
يقال فيه حال وأحال أخطبك الصيد أي أمكنك أخطب الخنظل صار خطباناً وذلك  
إذا صار فيه خطوط خضر وخطب في النكاح خطبة وعلى المنابر خطبة أختق فلان لم  
يعغم والنجم تولى للسغيب وخفق الطائر بجناحه خفقاً والريح خفقاناً وخفقه بالسيف  
وأخفقه ضربه أخلفت النجوم إذا لم يكن فيها مطر والرجل في ميعاده واخلف الله  
عليك يقال لمن ذهب ماله وخلف الله عليك فيمن مات له ميت وخلف فلان فلاناً  
صار له خليفة وجاء بعده وفود خلوفاً تغير والشيء فسد أدخلت المكان أصبته خالياً  
خالياً اخلد بالمكان أقام به ورجل مخلد أسن ولم يشب وخلد خلوداً بقي أدلجت سرت  
ليلاً وهي الدخ وأدلجت سرت من آخره أذمته صادفته مذموماً وذمته عبته أذال  
فرسه أو غلامه استهان بها وذال ينيل تبخر أرم القوم سكتوا والعظام صار فيها رم  
أي مخ وقد رمت عظامه أي بليت وفلان شاته والغنم نباته أكلته أربع ولد له في  
تسايه وأربع وربح حم ربعا وربع الحبل فتلته على أربع قوى أرجع أهوى بيده إلى  
خلفه ليتناول شيئاً أرم فلان نفذ زاده وأرمل الحصر ورملة نسجه ورمل بين الصفا  
والمروة رملاناً أرمى على السعين وأربي وأرماد على ظهر دابته وأذراه ورمى الرقبة  
أرهن في كذا أسلف ورهن الرهن ولا يقال أرهن الرهن وأما قول الشاعر:

فلما حبت أظافيره ... نجوت أرهنهم مالكا

فمن روى وأرهنهم مخطئاً أزيد الماء وزبده أعطاه وأطعمه الزيد أزهر النبت ظهر  
زهرة وأزريت به قصرت وزريت له عبته أسفر أشرق وسفر بيته كسه والريح  
السحاب وفلان بين القوم سفارة صار رسولاً فيهم والمرأة نقابها كشفته والسفر ما  
نحات من ورق الشجر فكسه الريح وأسمرت الشيء كتمته وأعلنته وسمرت الصبي  
قطعت سره والسرة التي تبقى أساف الرجل هلك ماله وهاف المال يسوف هلك

ورماه بالسواف قال الأصمعي هو السواف بالضم كالقالب والبخار وسافه سوافاً شه  
اسمك الثوب خلق وسمك عينه فقاها أسد قال السداد.

النجف (العراق)

محمد رضا الشيباني (الباقى للآتي).

مطبوعات ومخطوطات

بداية الجهد ونهاية المقتصد

للإمام ابن رشد الشهير بابن رشد الحفيد المتوفى سنة ٥٩٥

طبع بالمطبعة الجمالية بمصر.

كلما بحث الباحثون في تركة السلف الصالح يعثرون على أسفار ممتعة تدل على علو  
كعب القوم في التفتن في التأليف ولاسيما ما خدم الشريعة واللغة والأدب منه. وهذا  
الكتاب الذي طبعه محمد أمين أفندي الخانجي الكتبي وشركاؤه نقلاً عن النسخة  
المولوية المخطوطة بخزانة كتب أحمد بك تيمور هي إحدى تلك الحسنات ادخرتها  
الأيام في القضاطر لتخرج للناس في هذا العصر الحاضر والكتاب في مجلدين أجيد طبعه  
وشكله فجاء تاماً كأكثر مطبوعات الخانجي الكتبي وقد أثبت فيه المؤلف من مسائل  
الأحكام المتفق عليها والمختلف فيها بأدلتها والتمهيد على نكت الخلاف فيما يجري  
مجرى الأصول والقواعد لما عسى أن يرد على المسائل المنطوق عنها في الشرع وهذه  
المسائل في الأكثر هي المسائل المنطوق بها في الشرع أو تتعلق به تعلقاً قريباً وهي  
المسائل التي وقع الاتفاق عليها أو اشتهر الخلاف فيها بين الفقهاء الإسلاميين من لدن  
الصحابة رضي الله عنهم إلى أن فشا التقليد وقبل ذلك فشي على طابعه وبحث  
المشغلين بالفقه والقانون على اقتناء هذا الكتاب البديع بأسلوبه وموضوعه.

الأدب الصغير

لابن المقفع نشره أحمد زكي باشا

نطبعة العروة الوثقى الإسلامية بالإسكندرية (١٣٢٩ - ١٩١١ ص ٧٨).

نشر أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري في السنة الثالثة من المقتبس كتاب الأدب الصغير لابن المقفع نقلاً عن مخطوط عثر عليه عند أحد أعيان بعلبك ثم ضمناه إلى رسائل البلغاء التي نشرناها تحمل في مطاويها جميع ما عرف لعبد الله بن المقفع ولعبد الحميد الكاتب من الرسائل والشذرات وما قد نشر صديقنا زكي باشا هذه الرسالة مرة ثانية نقلاً عن مخطوط ظفر به في إحدى مكاتب الآستانة وقدم لها مقدمة في الأخلاق وأشار على عادة ثقات العلماء الأمناء إلى مصدر رسالته وأنه استعان بما نشره الشيخ الجزائري في المقتبس وعلق شروحاً لغوية على المتن بطبع مشرق للغاية وورق جيد بحيث جاء قرار نظارة المعارف العمومية بمصر بشأن تدريس هذا الكتاب في جميع مدارسها الابتدائية أحسن دليل على مساعدة حكومة مصر للأدب واختيار النافع من المطبوعات لإثرائها من كتبها فللناشر الثنية على همته العالية.

حديث عيسى بن هشام

أو فترة من الزمن منحه محمد بك الموالحي

طبعة ثانية على نفقة الشيخ محمد سعيد الراجحي الكتبي بمصر سنة ١٣٣٠

ص ٤٦٣).

منشئ هذا الكتاب من كتاب الدرجة الأولى في مصر بل في البلاد العربية كان نشر مقالات متتابعة في مجلة مصباح الشرق خيالية في الظاهر وحقيقية في الباطن وصف فيها حال مصر في أخلاقها وعاداتها ثم جمعها في كتاب أعيدت طبعته الأولى قال فيه ما أبعد فهذا الحديث حديث عيسى بن هشام وإن كان في نفسه موضوعاً على نسق التخيل والتصوير فهو حقيقة مترجمة في ثوب خيال لأنه خيال مسبوك في قالب

حقيقة حاولنا أن نشرح به أخلاق أهل العصر وأطوارهم وأن نصف ما عليه الناس في مختلف طبقاتهم من النقائص التي يعين اجتباها والفضائل التي يجب التزامها وقد وفي الكتاب بهذا الغرض ومن كل وجه فمثل حياة مصر الاجتماعية ولاسيما أهل السرف والترف من بينها وربما بالغ في الأحيان في ذلك التأثير في قلب القارئ بقوة البلاغة التي كثيراً ما يعتمد على التجميع في إبرازها ولكنه سجع لا أثر للتكلف فيه على الجملة يدل على علو كعب المؤلف في الأدب ومبالغته في التميمق والتسويق. وقد رأينا بعض ألفاظ لا تلتئم مع تلك الدرر والغرر منها.

في ص ٣٣ يرتكن على توقد ذهنه و١١٢ ارتكانا على فمر صومه و١٥٧ كنا نرتكن عليه ص ٥٧ فلا يأفون بها و ٢٠٠ كنت آبه بها ص ٦٤ المقاطعة على الشاهد ٦٨ امتثلت لصائحك ص ٧٣ امتلاً الباشا تعجباً وانددهاشاً ص ٧٩ كان يضرب بغناني (غناي) المثل ص ٨٧ سيما الرضاء بالمقسوم ص ١٩٠ أخذت هذه الحانوت ص ١١٥ لا يتقون بعضهم بعضاً. وفيها تحرير الأوراق وتسطير الصكوك و١٣٦ حرر طلباً ص ١٢٥ تحصلت عليها بطرق مختلفة. يتحرى عن مسألة ١٣٧ صعد ثانياً إلى السلم فوجدناه مزدحمة بجملة أناس ١٨٦ سب المهلاك والنجاء (النجاة) ٢٦٢ أسرع بالخروج أطلب النجاء ١٨٨ احتذاء لما ترسجه ظروف الأحوال ٢٠٢ وهو بالسن الذي لم يصل فيه بعد إلى التمام ٢٠٨ لكننا الأضمن عندي ١٢٠ وهؤلاء التمشدقون ٢٤٤ لا يؤثر عليهم ٣٢٢ فأحصى ما فيه عدا ٣٧٩ رأس متصدعة ٣٩٦ نستفيد من واسع علمه أموراً شتى مسافة من الزمن ٤٠٧ يعد طول النقل والتطور مثل هذه الأهرام وخلافها ٤٢٨ وعدنا إلى المدينة وقد مد من الغروب حبالته ليقتنص من الأصيل غزالته ففرقت نفسها شعاعاً ٤٤٤ طلب مني أن نحى الليلة بالسر وأن قلتها معه بالسهر الخ.

ومن هذه الألفاظ والتراكيب ما هو بعيد عن مناحي الفصحاء دخيل في اللغة أو ضعيف في التركيب ولفظه في غير موضعه ولعل المؤلف الفاضل يعيد نظره في هذه النقذات فإن منها ما هو من لغة الجرائد ومنها ما هو من اللغة العامية المصرية ولعله لا يرضى على الآداب بتفاته بعد اليوم فهو من أعظم الناعين على الموظفين فعسى أن لا تشغله الوظائف عن معاناة الكتابة لإنارة الأفكار كما تشغلت غيره ممن ابتلوا مؤخرًا في مصر بالتوظيف فطلقوا الأقلام طلاقًا بتاتًا.

### مجموعة أعمال المؤتمر المصري

طبع بالمطبعة الميرية بمصر سنة ١٩١٢.

عقد بعض أقباط مصر مؤتمراً في السنة الماضية طلبوا فيه إلى الحكومة المصرية والإنكليزية بعض مطالب سياسية واجتماعية منها أن تعطل الحكومة يوم الأحد بدلاً من الجمعة أو مع الجمعة ومنها يمكن بعض أبنائهم تولي بعض الوظائف الكبرى كالديرين (الولاة) اسرة بالمسلمين إلى غير ذلك من المطالب فهب مسلمو مصر على الأثر وعقدوا في مصر الجديد من ضواحي القاهرة مؤتمراً عاماً من كبار أرباب العقول والمفكرين والأعيان في القطر دام من يوم السبت ٣٠ ربيع الثاني ١٣٢٩ إلى يوم الأربعاء ٥ جمادى الأولى ١٣٢٩ تليت فيه خطب عديدة ومطالب في الإصلاح رشيدة فحاء ما قالوه نسخة صحيحة تمثل فيها حالة مصر الفكرية وإن مصر على انحطاط في بعض شئونها الاجتماعية هي أرقى بلاد الإسلام لا محالة.

وكل من قرأ ما دار في ذاك المؤتمر من المطالب وبسط فيه من الآراء وفصل فيه من الخطب البليغة المدهشة يوقن بأن خاصة المصريين لا يقلون خاصة الأوربيين ولكن قضي على الشرق أن يكون بأفراده مهماً قوياً وتجموعه ضعيفاً ضئيلاً ولما راقنا من خطب المؤتمرين في الاقتصاد والاجتماع والإدارة خطبة محمود بك أبو النصر المحامي

ومحمد حافظ بك رمضان اغامي وصالح بك حمدي حماد من الكتاب وإبراهيم بك غزالي من الأعيان وأحمد بك عبد اللطيف اغامي والشيخ عبد العزيز شاويش من الكتاب وإبراهيم بك اهلباوي اغامي والسيدة باحة بالبادية من الأدبيات ومحمد بك أبو شادي اغامي والسيد علي يوسف الصحافي (وقد تكلمنا على خطابه في السنة الماضية) وعلي بك الشمسي من الأعيان وإبراهيم بك رمزي من أرباب الصنائع وجبرائيل بك كحيل اغامي وعبد الستار بك الباسل من الأعيان وعبد الخالق بك مدكور من التجار. ويوسف بك نحاس الحقوقي وعمر بك لطفي اغامي وهاشم بك مهنا اغامي ومحمد بك علي اغامي وأحمد أفندي الألفي من أرباب الزراعة. وأنت ترى أن عدد اغامين أكثر من غيرهم ومعظمهم كانوا بمقترحاتهم وأقوالهم إلى أقصى ما يتصور من السداد مما دل على أن مصر غية برجال القضاء فيها ولو تسر أن يشارك في المؤتمر موظفي الحكومة المصرية لتليت فيه من الآراء السليمة أمور كثيرة غير ما سمعناه فأعجبنا فيه فإن فيهم رجالاً هم من خيرة المفكرين والعلمين ولكن كان للمؤتمر شبه صفة سياسية ورجال الإدارة والقضاء ينعون في معظم الأمم من المشاركة في الأعمال السياسية الظاهرة.

### تزيه القرآن عن المطاعن

لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد المتوفى سنة ٤١٥.

طبع بالمطبعة الجمالية على نفقة المكتبة الأزهرية لصاحبها الشيخ محمد سعيد الراجحي

سنة ١٣٢٩ ص ٤٣٦.

مؤلف هذا الكتاب شيخ المعترلة بل هو من أكبر مشايخهم الذين قال فيهم الحاكم وليس تحضرني عبارة تحيط بقدر محله في العلم والفضل فإنه الذي فتح علم الكلام ونشر بروده ووضع فيه الكتب الجليلة التي بلغت المشرق والمغرب. وكان صاحب

يقول فيه هو أفضل أهل الأرض ومرة يقول هو أعلم أهل الأرض ومصنفاته كثيرة قيل أنها بلغت أربعمائة ألف ورقة في كل فن. وكتابه هذا أملاه في تفصيل ما بين الحكم والمتشابه عرض فيه سور القرآن على ترتيبها وبين معاني ما تشابه من آياتها مع بيان وجه خطأ فريق من الناس في تأويلها. وهو لا يسغني عنه مولع بالبحث في الكتاب العزيز وأسراره. ويليه مقدمة التفسير لأبي القاسم الراغب الأصفهاني وناهيك بكل ما خطه أنامل هذا المؤلف الذي أجاد في كل ما كتب. والغالب أن الناشر اعتمد على نسخة دار الكتب الخديوية في طبع الكتاب الأول وعلى نسخة أحد العلماء في نشر مقدمة التفسير أو يا حذا لو أشار في المقدمة إلى الأصل المطبوع عنه تميماً للفائدة وليزيد شكر العلم الإسلامي له.

الأخبار الطوائف

لأبي حنيفة الدينوري المتوفى سنة ٢٨١.

لصححه وضابط ألفاظه وناشره الشيخ محمد سعيد الراجحي.

طبع مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٠ ص ٣٨٣.

طبع هذا الكتاب في ليدن من بلاد هولاندة وتداوله أهل العلم واستفادوا منه على ما فيه من الأخبار الواهية الضعيفة وقد أعاد طبعه صاحب المكتبة الأزهرية عاهداً إلى الشيخ محمد الحضري من فضلاء المدرسين في هذه العاصمة أن يعلق على كل قطعة عنواناً لتلا يكون الكتاب جملة واحدة وبذلك أصبح قريب المنال على أهل هذا الشرق ويا ليت الناشر أشار إلى النسخة التي أخذ عنها حرمة لعيل العاملين سواء كان اعتماده على نسخة مخطوطة أو مطبوعة لتزيد الثقة.

الدولة والجماعة

لأحمد شعيب بك ترجمة محب الدين أفندي الخطيب.

طبع بتطبعة المؤيد بمصر ١٣٣٠ - ١٩١٢ ص ٦٧.

أحمد شعيب بك من علماء العثمانيين وكتابهم خلف كتباً ورسائل مهنة وكتب في مجالات الترك مقالات دلت على عقل واسع وتحقيق لا يستهان به وقد ترجم له محب الدين أفندي الخطيب أحد كتاب المؤيد هذه الرسالة البديعة التي قصد بها تبيه قومه إلى سلوك محجة الصواب في نشأته الدستورية وتجنب الطفرة في تكييف نظام الحكومة وقدم لنا صديقنا رفيق بك العظم مقدمة أبات عن غرض الرسالة والتمت بذكر من ضرب العلوم الاجتماعية بسهم وذكر العرب ترجمة المؤلف وتأثيراته في إندابة الترك فله الثناء على نشاطه وعساده يوفق إلى ترجمة المفيد من أمثال هذا الكتاب.

ديوان أبي الحسن

نظم الشيخ محمد خير الطباع طبع بتطبعة الفيحاء بدمشق سنة ١٣٣٠

(ص ٩٨).

جمع هذا الديوان أحمد أفندي عبيد في دمشق وفيه ما قاله الناظم في أوقات مختلفة وأغراض شتى وشرحه محمد سليم أفندي الحنفي وشعر الناظم بين شهر الفقهاء وشعر متوسطي الشعراء ولو طال عمره لجدات ملكته ولو اتسع الوقت لكل من يعانون القريض وتدبروا أساليب شعر القدماء والبارعين فيه من احدثين أو لو كتب لأكثرهم لأن يطلعوا على ما نظمه شعراء الإفرنج بلغاتهم لما أقدم معظمهم على نشر شيء من منظوماتهم فإن المديح والغزل والتشطير والتخييس من أعظم ما ابتليت به هذه اللغة ولا سيما في أيامها الأخيرة. والشعر لو أنصف الناس لما نشروا منه إلا أبلغه فإنه مما يطاق فيه التوسط مثل الموسيقى والخطابة والتصوير. ومن لم يرزق طبعاً سليماً في

البيان منظومه أو منشوره فالأشبه به أن يمشي مع طبعه واستعداده وإلا بدت مقاتلة وقصر في خدمة أمته.

## أخبار وأفكار

### الكاثوليك في أميركا

إذا كانت الكتلكة تتراجع في بعض الممالك الأوربية فإنها على تزايد في الولايات المتحدة وهي البلاد التي اتسع صدرها لكل مذهب ونحلة وطريقة. فقد بلغ عدد الكاثوليك فيها ١٥٠١٥٥٦٩ نسمة هذ السنة وكانوا منذ عشرين سنة ١٠٩٧٨٧٥٧ وعدد رهبانهم هناك ١٧٤٩١ ولهم ١٢٩٣٩ كنيسة و٤٠ رئيس أساقفة وثلاثة كرادلة و٨٣ مدرسة أكليركية فيها ٦٠٠٦ طلاب و٢٢٩ مدرسة عالية للذكور و٧٠١ مدرسة للإناث و٥١١٩ معبد مدرسة فيها ١٣٣٣٧٨٦ تلميذ يعلمون في المدارس التابعة وعندهم ٤٧١١١ يتيماً يربون في ملاجئ اليتامى وبذلك بلغ عدد من يعلمون التعليم الكاثوليكى في أمريكا الشمالية ١٥٤٠٠٤٩ تلميذاً وتلميذة فتأمل هذا التفاني في بث الدعوة الدينية في بلاد هي أعرق الأمم في حب المادة والماديات.

### عملة الهند

خمسة عشر مليوناً من الشعب الهندي البالغ زهاء ثلثمائة مليون نسمة يعملون في المعامل والمناجم والتراموايات ويتقلون في البلاد يحثون عن عمل لهم لا يهمهم إلا أن يدخنوا ويشربوا ويأكلوا ولا يدخرون شيئاً لمستقبلهم بل يصرفون في المشروبات الروحية واللذائذ الجسية ما يحصلونه ورزقهم قليل وإن العامل الإنكليزي ليعمل هناك ثلاثة أضعاف العامل الهندي وبالطبع تزيد عمالته أي آجرة عمله على تلك النسبة.

### خزانة كتب عجيبة

افتحت في نيويورك خزانة كتب من أدهش الخزانين وكانت ثلاث خزانين أولاً فجمعت في واحدة فيها أسباب الراحة للمطالعين بحيث تراهم في غرفها كأنهم في بيوتهم يخرجون الكتب اللازمة لهم بأيديهم ويعيدونها كذلك على صورة لا تحدث تشويشاً على سائر المطالعين. وهذه المكتبة تغير الكتب اللازمة إلى البيوت خاصة وفيها مطبعة لطبع الفهارس ومعامل للتجليد وأدوات لتوليد الكهربائية لإيقاد عشرين ألف مصباح ولو جمع طول قماطر هذه الخزانة لبلغ مئة كيلومتر وقد كلف نحو مليوني جنيه.

### المعروفون

أثبت إحدى الأوانس المهذبات أن أرباب الصناعات والفنون أطول الناس أعماراً واستشهدت بأسماء كثير من المنصورين والنقاشين ممن كانوا يحركون أناملهم وهم بعد السبعين والثمانين والتعين والمئة من عمرهم وقالت أن بعد المئتين يجيء جمهور اللاهوتيين والفلاسفة بطول أعمارهم وبلاد بلغاريا أطول الناس أعماراً ففيها ١٣٨٣ ممن بلغوا زهاء مئة من عمرهم أي واحد في المئة من السكان ثم تجيء رومانيا وفيها ١٠٧٤ والصرب وفيها ٥٧٣ ثم إسبانيا ٤١٠ ثم فرنسا ٢١٣ وإيطاليا ١٩٧ ثم النمسا فإنكلترا فروسيا فألمانيا فنورمانديا.

### الحشب الصناعي

اخترع أحد الفرنسيين خشباً صناعياً يقوم مقام الحشب الطبيعي ويخدم التجارة خدمة جلي وطريقة ذلك تحويل القش إلى مادة صلبة كالبلوط والزان فيخمر وتضاف إليه بعض المواد الكيماوية ثم يضغط هذا العجين في قوالب بحسب الطلب منها الدقيق ومنها الكثيف ومنها الطويل ومنها القسر ومنها الاسطواني ومنها متوازي الأضلاع

ويمكن نشر هذا الحطب كما ينشر الحطب الطبيعي وإذ كان القش رخيصاً جداً في كل محل أصبح سعر هذا الحطب رخيصاً أيضاً وهذا الحطب يعمل للدفع لتأجج منه نار عظيمة ولا يبعث منه دخان كثيف ويعمل أيضاً لصنع الثقاب أو عيدان الكبريت وخشبه أحسن من الحور وأقل ثمناً ويصنع منه الورق الصر ويعمل في أمور أخرى.

### الخطر على المدينة

كتب أحد كتاب الإنكليز مبحثاً في هذا الشأن قال فيه أن فلسفة التاريخ قد جلت الماضي أحسن تجلية ولذلك يسوغ اتخاذها خطة معينة للحاضر والمستقبل والأمم كالأسر تكبر وتنمو كل النور ثم تحط بالتدريج فنستبدل قوتها ضعفاً وعظمتها انحطاطاً وكم من أمة حكمت العالم فأصبحت اليوم نسياً منسياً خلفتها غيرها وهذه سيئاتها ما نال سالفها. وقد اختلفت أزمان الحضارات في القديم فلم تدم حضارة مصر أقل من خمسة آلاف سنة ودامت حضارة بين النهرين ثلاثة آلاف ومثلها حضارة الصين في حين أن حضارة فارس وأثينا وإسبارطة والبندقية لم تدم كل منها أكثر من بضعة قرون. ومثل هذه العلامات مشاهدة في عامة الأمم وهي من المثول بحيث أن المؤرخ عندما يكشف عن أعراض الأمراض في أمة يحكم على آخرتها حكماً أكيداً. وقد لاحظ بعضهم أن ترك التقاليد الدينية يتقدم أبداً سقوط الممالك وإن الإفراط في قبول الدخيل من الناس والضغني في الديمقراطية والاشتراكية مجلبة للانحلال في الشعوب على أن هذه الآراء قد لا تصدق وتتر بها الأمم لا تصيها بانقة. ويؤكد كثير من المتشائمين أن فرنسا ذاهبة لانحلالها وأول ما يعونونه عليها قلة تناسلها وعدم الاتحاد بين أجزائها مما يورث البلاد ضعفاً وحب المال الذي ساق الشعب الفرنسي لاحتقار الفنون والجمال بل الشرف وكل ذلك ليس من الحجج الدامغة في هذا

الشأن فإن هناك حوادث تقلق الاجتماعيين كل القلق من مثل زيادة عدد المجانين سنة فسنة فقد كان عدد البله في الولايات المتحدة سنة ١٨٨١ - ٣٦٣ في كل مئة ألف فأصبحوا اليوم ٤٢٩ وصعد عددهم في بروسيا من ٢٢ في العشرة آلاف سنة ١٧٨١ إلى ٢٦ سنة ١٨٩٥ وكان عدد المختل شعورهم في أيرلندا سنة ١٨٨٩ - ٧٥ ألفاً فأصبحوا سنة ١٩٠٨ تسعين ألفاً ومعدل المجانين في إنكلترا ٤ في المئة وعدد الجرائم يزيد كثيراً وبعض البلاد كإنكلترا تحسن حالتها من هذا القبيل. وخير الدرائع التي يعمد إليها للإصلاح إدخال التحسين الطبيعي والأخلاقي.

### الخطر الأصفر

لا يزال المفكرون في الغرب يذهبون مذاهب في تقدير الأخطار التي ستشأ بعد قرن أو قرنين من الخطر الأصفر أي ترقى الصين واليابان وانكفاء شعوبها على الغرب يجربون مدينته ويجعلون أعزة أهله أذلة وقد كتب أحد المحققين من الإنكليز قالاً في هذا الصدد قال فيه ليس الخطر في تجريد الصين مليوني رجل من جندها يسرون متراصة صفوفها على أوروبا يجربون كما حربت الهونس البلاد فالصني يكره الحرب بفطرته ولا يدعى لحمل السلاح إلا لتوطيد الأمن أيام السلام وما منهم من يعرض حياته للخطر لقاء بضع دربهيمات يقبضها أجرة عمله بل الخطر كل الخطر في انحلال نظام الصين الحالي وهجرة أهلها إلى أوروبا وأميركا بل الملايين يكتاثرون أهلها وبزاهموتهم في الصناعة والأعمال المختلفة وقد عرفوا بمضائهم وصبرهم الذي لا يوصف بحيث إذا كثروا في بلاد الغرب تحتل بوجودهم الميزانية الاقتصادية والصناعية فهم إذا هاجروا إلى بلد كالحلمة الطفيلية يورثونها ضعفاً ويقوون بمواردها ويقطعون عيش أهلها هذا ما أدركته أميركا وأستراليا فوقفتا تقاتلان أخطارهم بما فيهما من قوة.

التعليم الديني الياباني

لا - يابان في مدارس الحكومة ديناً من الأديان مثل فرنسا وسويسرا وإيطاليا وأميركا وهذه القاعدة جرت عليها منذ ثلاثمائة سنة سنها لها يياس مؤسس دولة توكو كانا وحافظت عليها الحكومات التي خلفته وكان الكهنة البوذيون قبل أسرة الشوغن ومجموعة المائة قانون التي حصرت السلطة كلها في يدها يعلمون قواعد الدين في معابد المدارس. وعلى تسامح يياس مع البوذيين الذي أنشأ لهم معابدهم باضطهاد أشياخ المذاهب الأخرى رأى أن حكم كونفوشيوس على النحو الذي يستعمله اليابانيون تكفي الشبهة وتحظر على كهنة بوذا أن يدخلوا في مدارس الحكومة ثم تبين أن الكنائس على اختلاف مذاهبها التي كانت تحاول تنصير اليابانيين لا ينشأ منها إلا مشاكل في الآراء فلما أعلن الميكادو سنة ١٨٧١ دستوره الجديد أغلق أبواب المدارس كلها عن دخول دين من الأديان إليها وهذا العمل السيد وقع الاستحسان عليه ودلت التجارب في هذه المدة على ضرورته على أن كثير من البوذيين والمتصرين ما زالوا يزعمون أن سب انحلال الأخلاق في اليابان حظر تدريس المذاهب في المدارس ولكن التعليم الديني يمكن تعليمه خارج المدرسة بدون عائق وهذا ما جرت عليه الحكومات بالتدريج لأنه من أثقو الدواعي إلى استعمال العقل ويرى بعض كتبة اليابان - وعندهم نقل هذه الآراء وغيرهم يدخلون في التعاليم الدينية مبادئ لا تطبق على مبادئ الحكومة ولذلك كان حظر تعليم الدين أولى.

### سكة الصحراء

قالت المجلة الباريزية أن مشروع سكة حديد الصحراء الذي كبرت في تصويره الألماني لم يبق من التشيط ما كان يتوقع له على ما فيه من الغناء والفائدة والقوم يفكرون اليوم في مشروع أوسع منه أي أن المشروع الجديد لا يقتصر على مد خط حديدي في صحراء أفريقية فيجتاز المسافة من وهران في الجزائر إلى رأس الرجاء

الصالح في الجنوب أي قارة أفريقية بأكملها وهو خط منديلي طوله عشرة آلاف كيلومتر وبذلك يتيسر السفر من لندرا إلى الترنسفال في تسعة أيام ومن إنفرس إلى الكونغو البلجيكية في خمسة أيام وقد مدت الآن ثلاثة آلاف كيلومتر في أفريقية الجنوبية وستمانة في ولاية وهران فبقي إذاً ٦٤٠٠ كيلومتر وهي مسافة أقل من مسافة خط سيبيريا الحديدي التي تمد على طول ٨٦٠٠ كيلومتر وأهم عقبة في هذا الباب اجتياز الصحراء أي بين الجزائر والسودان والمسافة ألفا كيلومتر تكون في بلاد قاحلة لا تجارة فيها وإذا استطاع عقل الإنسان أن يحول الفيضانات السنوية التي تجري في نهر النيجر بواسطة خزانات وسدود بها ذاك السطح العظيم الممتد شمال تمبكتو على نحو ما يجري في مصر وبعبارة ثانية إذا بلغ من الذكاء الإنساني أن يحول مياه النيجر إلى صحراء تسقط معظم الصعوبات المتظرة من مد هذا الخط.

#### شرائع بابل

كتب أحدهم يقابل بين شرائع بابل وشريعة موسى فقال أن شريعة البابليين عبارة عن أحكام صادرة في أحوال معينة خاصة ومنها ما عرف منذ عرف تاريخ آشور إلا أن الفكر القائل بأن هذه الشريعة كانت مجموعة في كتاب واحد قد رده المؤرخون ولكن ثبت أن بابل كان لها قانون مسطر منذ عهد حمورابي المعاصر لإبراهيم وكان الناس خاضعين لأحكامها في جميع أنحاء المملكة من بلاد عيلام إلى فلسطين ومن أحكام هذه الشريعة عقوبة الاعتداء على الملكية أو التملك فقد كان السارق يعاقب بالإعدام إلا قليلاً وذلك لأن بلاد بابل كانت تجارية والاعتداء على الأمن العام يعد أعظم ماس للملكية والأمن هو عامل عظيم في الحياة الإنسانية فشريعة بابل من هذه الجهة تختلف عن شريعة موسى لأن هذه الشريعة في الزمن الذي وضعت فيه كانت الحرب أكثر من التجارة شغل الإسرائيليين الشاغل وبينما كانت حياة الفرد نافعة للمجموع برمته

كانت ملكية الأفراد قليلة المكانة بالنسبة وهكذا الحال في الاختلاف بين الشريعتين يعرف ذلك من قانون الإرث فقد كان الأب في بابل حراً بأن يقف جزءاً مهماً من ماله على ولده يتناهد أو يحبه أكثر من أولاده بوصية يوصي بها والنساء قد يمنعن بإرث أزواجهن في حالات مخصوصة مما لا أثر له في الشريعة الموسوية. وإن توريت الثروة بوصية يوصي بها المالك لتدل على تقدم في درجات المدنية وأفكار راقية في مسائل حقوق الملكية. قال وإن جمع قوانين بابل قد أثر في شرائع آسيا الغربية كما أثر في الشعوب السامية.

### القهوة وسمها

عرف منذ زمن قديم أن في القهوة مادة سمية تحدث في بعض الأشخاص تأثيرات فسيولوجية وأوجاعاً عصبية وقلبية واضطرابات معينة وضعفاً في المجموع العصبي وقد استخرجت هذه المادة التي سموها كافيين سنة ١٨٢٠ واسمعت دواءً سهلاً ومشهياً ولكنها إذا أخذت بدون معرفة تضر كل الضرر وكثير من الناس يقعون في أخطارها إذا أفتروا في تناول القهوة على غير معرفة. وقد شبهوا الأعراض التي تصيب الكثيرين من القهوة بالأعراض التي تصيب الكثيرين من الألكحول فالقهوة كالمشروبات الروحية تلذ بطعمها وريحها وقلما تورث نشاطاً في الجسم إلا أن الكافيين يضاعف وظائف القلب ويحدث قلقاً قد يشفعه دوار وأوجاع رأس واضطرابات أحياناً فينبغي والحالة أخذ رأي الطبيب في استعمال القهوة لأن المنة غرام من القهوة الخضراء تحتوي من المادة السامة بحسب جودة القهوة ورداءتها ما لا يقل عن ثمانية بالألف ولا تزيد عن اثنين في المنة والقهوة المسحولة عادة تحتوي على جزءاً واحداً في المنة من الكافيين وثلاثة فناجين قهوة في اليوم لا يقل ما فيها من هذه المادة

عن ثلاثة في الألف. والعلماء يبحثون اليوم لإيجاد طريقة يستخرجون بها المادة السامة دون أن تفقد القهوة رائحتها وطعمتها.

### غلات طرابلس الغرب

بحث إحدى الغلات الإفريقية في حاصلات طرابلس بمناسبة احتلال الطليان فقالت أن تجارتها اليوم تجري بالمقايضة إلا قليلاً فيعطى البائع مثلاً ثمراً مقابل بضائع أخرى وأشجار النخيل أهم غنى السكان يدفع عنها خراج بقدر عددها كما هو الحال في مصر حيث تدفع كل نخلة عوائد نحو ٤٠ سنتيماً. ويقدر عدد النخيل في طرابلس نحو مليوني نخلة تجود محصولاتها بقدر ما يستطيع أهلها ربيها من العيون الطبيعية أو من آبار الواحات وتحتاج كل نخلة لثلاث لتر ماء في الدقيقة حتى لا تمك ولكنها إذا بقيت نصف لتر تجود أكثر من ذلك. الماء موجود بكثرة تحت سطح الأرض ولكن قلة معرفة الأهالي بأصول الري الزراعي دعتههم إلى أن يعتمدوا على الطرق القديمة العقيمة في السقيا فأول ماء يستخرجونه ماخ وحر لأنه مستقى من عنق قليل والأحسن أن يترى في امتياح الماء إلى العرق الثاني والثالث ليكون الماء نقياً بارداً غزيراً. والأمطار غزيرة على الجملة في طرابلس ويكون منها ماء شروب بقدر الكفاية وإن يكن هطولها رذاذاً لا وابلًا ولا ينشأ عنها فيضان في العادة إلا نادراً والآبار الارتوازية العادية التي حفرت في ذاك الصقع قد أتت بفائدة وتروي البئر الواحدة أربعة آلاف نخلة وغلات الزيتون حسنة للغاية ولكن الزيت الذي يصنع منه في البلاد غير حسن الطريقة وإذا استخرج على الطريقة المدنية يكون منه مورد ربح عظيم ويزرع في طرابلس شجر يدعى السناربي المعروف بخصائصه في التداوي وفي طرابلس مناخم كثيرة والطبقات الجيولوجية في البلاد متنوعة مثل الفوسفات والنطرون والكبريت. ويمكن أن يربى النعام في ذاك القطر لأنه لا يحتاج إلا الأماكن الفيحة

ويتخذى في الأحابيز بالعلف والحبوب فينافس ريشه وتجارته أسواق رأس الرجاء الصالح في جنوبي أفريقيا خصوصاً بعد إنشاء طرق للمواصلات وعدم الاعتماد في النقل على الجمالة والجمال.

### خزن الماء

وفق أحد كبار المهندسين في أميركا إلى اختراع طريقة تخزين الماء في الشتاء لتستخدم في الزراعة زمان الصيف وهو أن تجعل الأرض أثلاماً كبرى وتحفر في بعضها خنادق تساق إليها أمطار الشتاء وقد نفعت الطريقة العلمية التي اعتمد عليها واذ أظهر نجاحها أكثر لا تلبث أن تعم عالم الزراعة فتحصب بها كل أرض غير قابلة اليوم للزراعة بحسب الظاهر ولاسيما في شمالي أفريقيا وغربي آسيا.

### الحرب على الغبار

أثارت بعض الولايات المتحدة الأميركية حرباً عواناً على الغبار إذ أثبت في الصحة ما يعلق منه الحلويات والفواكه المعروضة للبيع في حوانيت الباعة ينقل جراثيم مضرّة أكلها ارتباك في معد الآكلين وقد وضعوا لذلك قيوداً يفرغ بغرامات فاحشة كل من يخالفها ورسوموا بأن يغطى كل شيء إن لم في ألواح زجاج فلا أقل بأقمشة تغطيها كلها بل أن ولاية تكساس حظرت بيع الباعات في الأزقة للفواكه والبقول لأنه لا يعقل أن يسرن بما يحملن ساعات في الشوارع ولا يصيها الغبار دع عنك جس المتاعين لها وكثيراً ما تكون أيديهم قدرة. وقد ارتأى أحدهم أن أحسن واسطة لاتقاء الأخطار المنبئة من الغبار إذا عجزت الحكومات عن دفعه أن يكون للناس من أنفسهم لأنفسهم مراقب فلا يتاعون من بائع يعرض ما يبيع من المأكولات على هذه الصورة وبذلك يفهم الباعة ما ينبغي لهم اتقاؤه حتى تروج بضائعهم فيعلمون بالقدوة وهو رأي حسن نافع خصوصاً في مثل بلاد الشرق حيث فقدت قوانين الحسية القديمة ولم

يخلفها من قوانين المجالس البلدية الحديثة ما يشدد على السوق والمرترقة في بيعاتهم ليراعوا الصحة فيها ويتقوا الوجدان فقد رأينا الناس علموا باعة المشروبات أن الأولى غسل الأواني كل مرة بماء جديد فشاعت هذه الطريقة في بعض المدن وحذا لور تسري إلى بلاد الأقاليم والأرياف.

### القروود الضخمة

للقروود الضخمة في جنوب أفريقية ذكاء مدهش حتى أن سكان تلك البلاد يظنون جنسها قد رزق مزية التكلم وأنه يتمتع عنه مخافة أن يسجد ويكره على العمل وقد استشهد أحد رحالة الإنكليز إلى تلك البقاع بحادثتين تثبتان ذكاء القروود الأولى أنه لكان لأحد عمال السكة الحديدية قرد يريه فأصيب صاحبه بعاهة اقتضت قطع ساقه فكان قرده يتولى أكثر عمله وعمله عبارة عن فتح إبرة الخط في أوقات مرور القطار والحادثة الأخرى هو أنه كان لصاحب قطع قرد يرسله في غنمه بدلاً من الراعي يقبها من كل سوء بل يبالغ في وقايتها ولاسيما في أوقات الخطر والعواصف ويفهم القرد بآدنى إشارة ومنه ما يستخدم في تقديم الشراب ومناولة الكؤوس والأكواب.

### اكتشاف أميركا

ألقى الرحالة نانسن محاضرة في الجمعية الجغرافية في لندن قال أن أول من نزلوا إلى أميركا قبل كابوت هم النومانديون في القرن العاشر للميلاد وهم المهاجرة الأولى الذين اجتازوا البحر المحيط وكانت الملاحة قبلهم محصورة على التنقل بين الشواطئ القريبة ولا يتجشمون خطر البحار واجتيازها من عرضها وسافر الأيسلانديون في القرن العاشر أيضاً قبلغوا غروانلاندة وأسسوا على الشاطئ الجنوبي الغربي منها

مستعمرتين تشهد لذلك أسماء المدن التي وردت في أدبياتهم القديمة وسنة ٩٩٩ كانت أول رحلة رحلتها الرحالة أريك الحمير الأيسلاندي في المحيط.

### نساء الحثيين

اثبت الأستاذ كارستان من كلية لفربول أن كاهنات الحثيين كن من أشجع النساء المشابهات بالرجل في الأمم القديمة. والحثيون إحدى الأمم السبع التي حالت دون تقدم الإسرائيليين نحو الأرض المقدسة وهؤلاء الحثيون هم أول شعب جند النساء في الحثى فالنساء الشبيهات بالرجال المشهورات في علم الأساطير اليونانية هم الأصل فيها. وقد كشف الأستاذ المشار إليه في قبور حفرت في الصخر في بوغار كوي من آسيا الصغرى صوراً من هذه الكاهنات المسلحات ومنهن من كانت تقاتل فارسة ومنهن تقاتل راجلة ومنهن من حول رب لمن يدافعن عنه وبوغار كوي (أو بوغتا كوي) من مدن الحثيين المشهورة وقد فقد نساء الحثيين صفتهم الدينية عندما داهم الحثيين الفريجيون والمصريون والإسرائيليون فأبلى نساء الحثيين في تلك الحروب بلاءً حسناً مدافعات عن أربابهن ووطنهن وقد أخذت بعثة إنكليزية تبحث عن آثار تلك البلاد لما عرف من أن الحثيين هم أكبر أمم آسيا الصغرى قبل زمن إبراهيم وكانت لهم مستعمرات في القرن الرابع عشر قبل الميلاد تؤدي لهم الجزية مثل مستعمرات قيليقية وليكاونيا وفريجيا وليديا قاوموا الإسرائيليين زمناً طويلاً ولم يضلح عمرانهم إلا بعد تسعة قرون قبل الميلاد فضعفت شجاعة نسانهم.

### الطب في نينوى

حوت حفريات في السنة الماضية في محل مدينة نينوى القديمة وظفر فيها بأشياء تدل على أن علم الطب وعملياته قد ارتقت في بلاد آشور قبل المسيح بستة قرون فمن عشرين ألف لوحة اكتشفت وهي من مكتبة الملك آشور بانينال الفاتح العظيم لمصر

وبابل الذي نقل رعاياه إلى بلاد السامرة - منات تبحث في المداواة وطرق الوقاية ووصفات الأطباء فكانوا يصفون للكثيرين الامتناع عن كل شراب كما يصفون الصيام لمن أفرطوا في الأكل. وأكثر ما كان يعمل في بلادهم من الأدوية الزيت وزيت الخروع وشراب النمر والعمل والملح وكثيراً ما كانوا يستعملون التغير (التسديد) ومن أصيب بالصفراء بذلك بصفة إلى غير ذلك من الوصفات الساذجة والمداواة العجيبة.

### القبلات الضارة

تبين من أبحاث مدير المعمل الكيماوي في ولاية إنديانا بأمر كا إن من الأولاد كثيرون أصبحوا بالسل متقلاً إليهم من قبلات قتلهم إياها بعض المصابين من أقربائهم في أفواهم فنقلوا إليهم جرائم العدوى فتأصلت فيهم وأضتهم وإن القبلات أوردت الأطفال حياض المنيات فالحسن الضليل من التقييل وإلا فيصاب الصغار والكبار بأمراض سارية من هذا القبيل.

### ألجنة البولونيين

وضع الدكتور نيكير كتاباً في الألمان والبولونيين وصف فيه الطريق التي سلكتها ألمانيا لألجنة البولونيين أي جعلهم المان في إقليم بوزانيا وسيلزيا قال بسمارك غداة الحرب السبعينية قضى بأن يعلم بالألمانية في جميع بلاد بولونيا البروسية وتناول هذا العلم سنة ١٩٠٠ العلم الديني فأخذ البولونيون يقاومون ذلك كل المقاومة والحكومة تعتمد إلى كل قوة في إخضاعهم لتعلم الألمانية وترك لغتهم حتى تلقى الأساتذة في المدارس أوامر من الحكومة لاستخدام العصا والضرب باليد والرجل ومع أن الحكومة عاقبت آباء التلامذة الذين حاولوا إقامة الحجة على هذا الضرب من التعليم بعقوبات

شديدة للغاية لا يسعنا أن نقول بأن ألمانيا استطاعت أن تبدل الروح البولونية ولا أن تضعف الولاء البولوني ولا الرجولية البولونية.

فحبذا لو عملت كذلك كل أمة تحاول أخرى أن تقضي على لغتها خصوصاً إذا كانت اللغة المخكومة أشرف من اللغة الحاكمة وأفيد مادة ومعنى.

### مدارس تدبير المنزل

كثرة المعامل في أوروبا دفعت النساء في معظم الممالك أن يقبلن عليها ويتركن ما خصص له من إدارة البيوت حتى أن بعض بلاد ألمانيا وسويسرا أخذت تجد صعوبة زائدة في إيجاد خادמות وغيرهن لإدارة شؤون البيت فارتأت سويسرا أن تنشئ مدارس تعليم تدبير المنزل للفتيات فيعلمن الطبخ والخبز وعمل الحلوى والمربيات وشغل الإبرة والغسيل والكي وهدام البيوت ومبادئ الصحة والحساب وبنان لادن وخروجهن شهادات تسمح لهن بإيجاد عمل للحال وكثيرين منهن يرجعن إلى بيوت آبائهن وقد ثبتت حسنات هذه المدارس وهذا التعليم في تلك البلاد فيا حبذا لو أن مثلها في هذه الديار فإن الفتيات الفقيرات لا يجدن ما يعشن به وكثيراً ما يضطرون إلى الاتجار بالأعمال المخطورة ليأكلن ويشربن ولو كن معلمات بعض المبادئ في إدارة شؤون البيوت لكان على أكثر أهل اليسار في هذا القطر وغيره أن يستخدموهن بدلاً من الأجيريات والطهارة العرباء.

### الموسيقى العربية

رفع نجيب أفندي نحاس المحامي إلى معتمد إنكلترا بمصر تقريراً باللغة الفرنسية عن الموسيقى العربية قال فيه: يظن الأوروبيون أن موضوع الموسيقى العربية فقير للغاية لا يستحق الاهتمام وهذا ناتج عن كون الموسيقى العربية غير متقنة في أيامنا هذه لأنه

تنقص قواعد التأليف وامتزاج الأصوات ولكن من تأمل ألحانها ألفاها غاية في الرقة واللذة وتأكد أنها بقية علم كان زاهراً في العصور الغابرة.

ولذلك سعت منذ ١٥ سنة في البحث عن أصول هذا الفن الجميل ووقفت إلى مؤلفات مكتوبة بخط اليد ومحفوظة في أوروبا ففي مكتبة المتحف البريطاني ومكتبة نظارة المستعمرات في لندن عثرت على ١٥ مؤلفاً باللغة العربية والفارسية. وكذلك في مكاتب باريز وفيينا وميلانو وليدن فإنني عثرت على ١٤ مؤلفاً أخرى. وقد اتضح لي منها أن الموسيقى كانت زاهية زاهرة أيام الخلفاء. فاجتهدت في استخراج الأبعاد التي يتكون منها المقام العربي من القرار إلى الجواب فألفتها ١٧ بعداً حلالاً للأبعاد الأوربية فأما ١٢ بعد فقط. وقد أجمع المؤلفون الأوربيون على ذلك عدا بعضاً منهم فافهم خالفوهم إلى درس ناقص في هذه المؤلفات. وضمن من كتبوا في هذا الموضوع فايتس وأبروس وكيزفيتز والبارون همر بورجستال ولاند والبارون كارا دي فو وأبي سميت وىخرون وقد امتحنت الأرقام الحسابية بالطريقة الجبرية وبطريقة التونومتر وفحصت الآلات المحفوظة في متحف سوت كنسزنجت الذي تكلم عنها كارل أنجل في كتابه الشين عن ذلك المتحف.

ولما كان هناك فرق بين الأبعاد العربية والأوربية فلا يمكن إحداث الأنغام العربية على الآلات الأوربية ولذلك اهتمت بصنع بيانو شرقي في برلين وقد خصصت جانباً من سفري هذا إلى أوروبا لتتبع هذا البيانو ومتى تم أسعى في طريقي اصطناع الآلات الأخرى كالآلات النفخ الحشبية والنحاسية وقد وضعت طريقة لكتابة الموسيقى العربية بعلاجات تكتب من اليمن إلى الشمال على سبعة أسطر لسهولة الاستعمال ومتى تم تركيب هذه الآلات سأؤلف جوقة تضرب وأؤلف أوبرا كوميك وما أشبه ذلك.

ولما كن ذلك يستلزم اهتماماً فائقاً مني وقضاء وقت طويل ومصاريف اصطناع هذه الآلات وإنشاء مدارس لتعليم الموسيقى العربية بحسب الطريقة العلمية التي سادوها في الكتب الذي سأطبعه قريبا فقد فكرت في أن اشرف واضع مشروعني هذا تحت رعاية فخامتكم السامية فكل بلدة في أوروبا لها مدرسة للموسيقى على نفقة الحكومة وسيكون ذلك في مصر أيضاً إذا شئتم مشروعني هذا بعين الرعاية وكلفة نظارة المعارف العمومية في مصر الاهتمام بمساعدة هذا المشروع مساعدة مالية وأدبية.

ولا يخفى أن هذه المدارس الموسيقية في مصر ستساعد على تربية الشبية المصرية وتقدمها لأن الموسيقى لغة الأرواح ترفع النفس إلى الرغائب الحميدة وتميل بالعقل والقلب إلى محبة الخير. ومتى وجدت في مصر موسيقى عربية مؤلفة على قواعد العلم ومنظمة تنظيم الموسيقى الأوربية صار لمصر مزية أخرى في عيون السياح وكتب لها في سلم الحضارة والارتقاء درجة أعلى لأن الموسيقى هي لغة التمدن والارتقاء.

### إحصاء زراعي لمصر

أحصت الحكومة المصرية الأراضي الزراعية في السنة الماضية التي ابتداؤها شهر سبتمبر (أيلول) سنة ١٩١١ وانتهؤها شهر أغسطس (آب) سنة ١٩١٢ فكان الشتوي.

النوعس فدن

خشخاش ٩٦٥٥

ترمس ٥٩٩٠٠

قرطم ٢٢١٠٧٩

جنائن ١٨٢٨١١٩ الجملة

حمص ١٠١١٢١

- ١١٥٣٠٠٠ حلبة  
 ٠٧٧٣٢٤ كنان  
 ٠٧٦٣٣٤٤ علس  
 ٧٣١٥٨٢٧ أصناف مختلفة  
 ٢٢٣٦٤٠٥٠ شعر  
 ١٧٥١٧٣١٨ فول  
 ٠٩٢٦٣٩٢ بصل  
 ٠٤٣٢٧٩٧ جليان  
 ١٩١٣٦٨٣٦٥ برسيم  
 ١٩١٢٨٢٩٣٥ قصح  
 الصفي:  
 ٠٤٣٢٥٩٥ بطيخ وشماد  
 ١٣ نيلة  
 ١٥١٣٤٢ حناء  
 ٠٦٧٩٥٧٣٨ قصب  
 ٠٨٢٠٦٢٤ أرز  
 ١٤٩٦٨٥٦٦ قطن نوباري  
 ١٣٣٦٣٥٤ عباسي  
 ١١٢٤٩٢٣١ قطن يانوفيتش  
 ١٤٢٢١٢٩ بقول  
 ٠٢٢٦٩١ سمسم

فول سوداني ١٤١٢٥٧٣

ذرة

قطن عفيفي أصلي ١٣٩٨٣٦

أشوري ٩٢٤٤٢٦٥

ميت عفيفي ٢٨١٩١٠

سكالا ريدس ٢١٩٧٤٥٠

إجمال المزروع ٦٣٦٧١٢٨٨

تزييل مزرع بالتكرار ٥٢٣٩٥٨٣٤

صافي الزمام ١٥٣٨٤٥٤

ضم بور قالف ٢٢٢٣٩٣٢٤٨

أصل التكليف ١٨٧٦٨٣٣٢

### اللدنيات

مات مؤخراً في البلجيك رجل اسمه أنطون الشافي أو الكريم وكان يعمل النصال فلم يكتب له أن تعلم ما يخرجه عن الأمية وقضى بعض حياته وهو يدعي شفاء المرضى وكم مقعد أقامه على رجله ومن أعسى رد إليه بصره وكان يدعي أن الإيمان هو العامل الوحيد في شفاء قاصديه للاستشفاء على يديه من يغشون منزله بالئات كل يوم حتى ضاقت صدور الأطباء الرسميين منه لأنه كاد يقطع أرزاقهم فأقاموا عليه دعوى فحكمت المحكمة براءته لأنه لم يكن يتقاضى أجره عن عمله وعند ذلك أسس له مذهباً سماه الأنطوني نسبة إليه فكثر أشياعه وأي كثرة في أقطار العالم. وقد تبرع أحد عشاقه بتمه ألف فرنك لبني له في جيس من بلاد بلجيكا معبد وقدم محضر فيه ١٣٠ ألف توقيع يطلب فيه للحكومة البلجيكية أن تعترف بالمذهب الأنطوني بأنه

من الأديان الرسمية وتأسست شعب لمذهبه في بعض مدن فرنسا. قالت المجلة التي نقل عنها بعد أن أوردت أحاديث لبعض من أولعوا بهذا الرجل أن دعوى شفاء الإسقام كانت مألوفة في كل عصر عرفتها الهند ويونان ورومية بل الغالبون أجداد والفرنسيين ولطالما ملأوا الحواضر والقرى وهم متوفرون على ممارسة صناعتهم التي كانت تعد من توابع السحر تحرمها الكنية أو تتسامح فيها أو تقتل أهلها إلا أن هذا الاضطهاد لم يفتّر عزائهم وعادوا كل قرن يجيئون من رمادهم فالظاهر أن عنصرهم لا يفنى ولو فني الدهر يقاومون بعقولهم ارتقاء العلم ونشوء الأخلاق واتساع الأفكار بالبحث والنظر وكم فيهم من جليلهم الملك حتى في هذا العصر وسألوهم أسئلة وغروهم بنواهم والأغرب من ذلك أن في باريز بحسب إحصاء دائرة الشرطة زهاء عشرة آلاف عراف وعرافة انتشروا في أشرف أحياء الأشراف منها وأكثرها سكاناً يمارسون صناعتهم بآمن ويعشون من هذه الأباطيل تحت سمع حكومة الجمهورية مؤلمة العقل ونظر العلماء الذين كشفوا كل غامض أو كادوا.

### المصافحة والصحة

قالت إحدى المجلات الإفرنجية أن المصافحة تكفي للدلالة على صحة المتصافحين فهرة الكف إذا كانت ثابتة حرة من رجل محلي حسن الصحة يكون فيها دانماً قليل من القسوة إذا تجاوزت حد اللياقة في اللمس والأدب تدل على ضعف مؤقت في الإرادة وتشعر باضطراب من يهز كفك وإن اليد التي تمتد رخوة بدون ضغط تدل على ضعف في الجسم والفكر ولو مؤقت وإذا صافحك مصافح بسرعة وعصية فتستدل من ذلك على مزاج حاد سريع الانفعال واليد التي لا حركة فيها الكسلانة تدل على ضعف صاحبها والحمى ليست دلالة أكثر من اليد على مزاج صاحبها فأقل لمس للمصاب بما يكفي في تشخيص مرضها.

## إزالة البقع

إذا سقطت الدهون والشحوم على حشب غرفة الطعام فإزالة بقعها سهل للغاية على شرط أن تتداركها في الحال وهي طرية وذلك بأن تضع على البقع روح التريتين وتركه عليها ساعتين ثم تمسحه بدون فرك وتلقي على البقع طبقة صغيرة من السعوط وتمر حديدة محمأة فوقها فالسعوط يأكل الدهن والشحم كما يأكل التريتين والبرين والسيرتو بقع الثياب.

## أصل الجعة

قالت مجلة التواريخ السيامية والأديبة: ليس من السهل أن نبين أصل البيرا والجعة التي تصرف مكنها اليوم كميات وافرة وغاية ما علم أن البشر حاولوا في أدوار مختلفة أن يبردوا بغير مياه العيون الصافية من الأشربة فكان لهم من اللبن وعصير الفاكهة والعمل والحب المسلوق مادة يعملون منها أشربة مخمرة ومنها جاء شراب القوميس (ابن الفرس) والخمر وخمر التفاح (السيدر) والإنجاص والجعة وشراب العرعر اهتدى البشر إلى صنعها كلها بعقولهم فنقلها الخلف عن السلف وقد بحث الباحثون المحققون في إنكلترا وألمانيا والنمسا وهي البلاد التي يبالغ سكانها في تعاطي الجعة عن زمان ظهورها وكتبت المجلدات الضخمة في قدم الجعة ولم يستطع أولئك الباحثون أن يصلوا إلى أصلها وغاية ما عرف أن ديودور الصقلي وهيرودوتس المؤرخ أثبتا أن المصريين عرفوا الجعة قبل المسيح بألفي سنة والغالب أن الملك أوزيريس كان رأس صناع الجعة وبائعها وقد دلت أوراق البردي التي عثر عليها أن مدينة بلوزة على شاطئ النيل اشتهرت بتعاملها لصنع الجعة وقد يرد على هذا الرأي أن صنع الجعة انتقل من الهند كما انتقلت مبادئ سائر الحضارات.